الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignements Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة أكلي محند أولحاج
Université Akli Mohand Oulhadj– Tasdawit Akli Muhend Ulbag – Tubirett–
–البويرة–

كلية اللغات و الآداب
Faculté des lettres et des langues

جامعة البويرة

قسم اللغة و الأدب العربي

الصراع الإيديولوجي في الرواية الجزائرية مرحلة التسعينات بما تحلم الذئاب أنموذجا

مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

من إعداد الطالبتين :
- زينب بلقاسم
- زهرة عليوان

إشراف الأستاذ :
– جبارة اسماعيل

السنة الجامعية 2014/2013

كلمـة شكـر

" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات ونخص بالذكر أستاذنا المشرف جبارة إسماعيل الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة وكان عونا لنا في إتمام هذا البحث .

والشكر موصول لجميع أساتذة قسم اللّغة العربية وآدابها

زهرة و زينب

إهداء

" بسم الله الرحمان الرحيم "

أول امتنان هو لله رب العالمين الذي وفقني في هذه الحياة فنحمده و نستعين به. إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها و التي غمرتني بعطفها أمي الغالية حفظها الله.

إلى الذي رباني على الفضيلة والتواضع وتحمل عبء الحياة إلى والدي حفظه الله .

إلى من عشت و تربيت معهم إخوتي محمد و يوسف و إبراهيم و الكتكوتة الصغيرة دعاء وفقهم الله.

إلى صديقة دربي زهرة ودامت صداقتنا إلى الأبد.

و إلى صديقتي و زوجة أخي امال.

إلى جميع من ساعدني من بعيد أو من قريب حتى ولو بابتسامة أو بكلمة صادقة.

"إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي."

اهديهم ثمرة جهدي.

زينب

إهداء

بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله أما بعد:

قبل كل شيء نحمد الله الذي و فقنا لإتمام هذا العمل، و أدعوا الله عز وجل أن يجعل عملي هذا في ميزان حسناتي، و أن ينفع به كل من اطلع عليه.

-إلى منبع الحب وصاحبة القلب الرحيم، الى من ملأت حياتي عطفا وحنانا، الى من تعبت واشتهدت بتربيتي، إلى التي لولاها لما ذقت طعم النجاح ولا طعم الحياة، إلى التي سهرت الليالي وساهمت بقسط كبير من نجاح والى التي وجدتها بجانبي بكل لحظات عمري إلي أمي الغالية العزيزة حفظها الله.

- إلى المثل الأعلى في الدنيا، إلي رمز التضحية من اجل سعادتنا، إلى القلب الرحيم، إلى أبي الغالي.

-إلى كل إخوتي

إلى صديقتي زينب و صديقي مهدي

و إلى كل من حملتهم ذاكرتي و لم تحملهم مذكرتي

أسماء

مقدمـة

مقدَمة :

لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تأسس لنصَ روائي يبحث عن تميُز إبداعي مرتبط ارتباطا عضوياً بتمييز المرحلة التاريخية التي أنتجته وبالواقع الإجتماعي الذي شكَل الأرضية، يسمَى أدب هذه الفترة بأدب الأزمة أو أدب العشرية السوداء، ويعدُ هذا الأدب من أهمَ الإنتاجات الإبداعية الجزائرية لكونه أرخ لمحنة الجزائر التي مرَت بها أثناء فترة التسعينات من القرن الماضي الذي عانت منه كلُ شرائح المجتمع من الإنسان العادي البسيط إلى نخبة المجتمع، وبهذا ظهرت جملة من كتابات ما يسمَى أيضاً بالأدب الإستعجالي الذي ترجم على يد مجموعة من الأدباء الجزائريين أمثال : ياسمينة خضرا ، واسيني الأعرج ، رشيد بوجدرة وآخرون الذين سالت أقلامهم لتنقل لنا مأساة الشعب الجزائري مرة أخرى بعد أن كانت في بداياتها الأولى تصوَر لنا مرارة الحقبة الإستعمارية على يد محمد ديب ومالك حداد ومولود معمري وغيرهم.

وهذا ما تطرَقنا إليه في بحثنا من خلال دراسة مجموعة من الروايات التي عالجت قضية العشرية السوداء بالرغم من الصعوبات التي اعترضت طريقنا وهذا راجع بالدرجة الأولى لنقص المراجع حيث تطرَقنا في خطة البحث إلى مايلي:

مدخل:

الفصل الأول : الإيديولوجيا في روايات :

- الشمعة والدهاليز (الطاهر وطار)
- سيدة المقام (واسيني الأعرج)

الفصل الثاني : الإيديولوجيا في رواية بم تحلم الذئاب لياسمينة خضرا.

- ملخص الرواية.
- الشخصية.

- المكان.

- الزمان.

المنهج المتَبع : منهج سيميائي (وصفي تحليلي)

المدخل:

وجدت الرّواية الجزائريّة نفسها بفضل عوامل الانحدار السياسي والاجتماعي والاقتصادي بعد أحداث أكتوبر 1988 م أمام واقع مرير ومستقبل مجهول بعد أن انبرت أقلام الروائيين لتكتب وتسجل ما كان يحصل من أحداث في قالب سردي زاوج بين فنية الأدب وبين واقعية الأحداث،ولا يخفى في هذا المقام أن معظم المبدعين اتجهوا إلى النقل الحرفي للحقيقة الجزائرية،فلم يكن الإهتمام بالغة الفنية واردا،وفي هذا السياق ظهر مفهوم الرواية " الإستعجالية " أو الرواية "الصحفية " هذه التسمية التي وردت من فرنسا أين كان الإهتمام برواية المحنة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية،خاصة روايات " **ياسمينة خضرا** " والتي من بينها الرواية النموذج التي سنطبق عليها البعد الإيديولوجي " **بم تحلم الذّئاب**".

تعدُّ الرّواية الجزائريّة المعاصرة بمثابة المرجع المؤرّخ لكلّ الأحداث التي مرَ بها الوطن وكانت العشرية السوداء بالأخص صورة صادقة عن الوضع الإستثنائي الذي عصف بالجزائر،حينها نهض الرّوائيون من دمار الأزمة ورمادها يبنون رواياتهم، فتعدَدت الحقائق ووجهات النظر،وتعدَدت معها الإبداعات،وممَا لا شكَ فيه أنَه حالما تذكر كلمة " رواية المحنة " أو " رواية العنف " أو " الرواية الإستعجالية " أو " محكيات الإرهاب " أو " الرواية الّتسعينيّة " أو " الرواية السوداء " يحدث ربط ذهني منطقي بينها و بين تسعينات الجزائر أو العشرية السوداء أو عشرية الدم ذلك أنَ هذا النّوع من الآداب ارتبط ظهوره ومضمونه بسنوات المحنة الجزائريّة إذ اتّخذ النّص الرّوائي المأساة الوطنيّة التي انفجرت على أكثر من صعيد المادَة الخام لبنائه

السردي، تلك المأساة الجزائرية التي تعود خلفياتها إلى أحداث 5 أكتوبر 1988، والتي إن لم تدم إلَا أياما إلَا أنَ ما تمخضَ عنها شكل منعرج تحوُل هام غير مسبوق في النظام الجزائري.<<فالرواية السوداء لفترة التسعينات كما يرى " أبراهيم سعدي " من

ناحية التيمات تحمل طابع التماثل والتشابه وهي نفس الملاحظة التي نجدها في رواية المرحلة السابقة لها التي تتميَز بدورها بتمركزها حول هموم الجماعة وبالتالي بالواقع العام للمجتمع، وإذا كانت هذه الظاهرة بالنسبة للنص الروائي الخاص بعصر الأحادية الحزبية يمكن إرجاعها إلى اشتراك الروائيين في تبنيهم بهده الدرجة أو تلك للواقعية الإشتراكية التي تحدد للأدب أهدافا نضالية، فإن الأمر ليس كذلك في التسعينات لأي في زمن التعدُدية الحزبية و الانفتاح على الرأسمالية، اذ أنَ تمركز الرواية التّسعينيّة حول هموم الجماعة لا يحيل إلى وحدة المعتقد الإيديولوجي الذي تفرَقت به السُبل في هده الفترة، وإنَما لوحدة التَجربة العامّة للمجتمع المتمثّلة في تجريب العنف كتجربة جوهرية وشاملة>>.(1) وظهرت تجارب متعدّدة تعدّدت من خلالها فضاءات الحكي وتعّددت إيديولوجيّات من كتبها<< كان الأديب " الطاهر وطار " من الذين كتبوا الرواية التي تهدف إلى شرح الظاهرة الإسلامية، وتفسير أسباب ظهورها مثلما فعل في روايته " الشمعة والدهاليز " وتجدر الإشارة إلى أنَ التيار الأصولي يحضر في معظم كتابات " وطار " وبشكل صريح أيضا كما في رواية " الزلزال "<<.(2)

<< وهناك من كتب روايات عن ظلاميات الإسلاميين الذين احترفوا الموت والدمار منحازين إلى العلماني الحداثي مثل " واسيني الأعرج " في روايته " سيدة المقام "،

وبين هذا وذاك هناك من حاولوا المقاربة بتوفير حد كبير من المستوى الجمالي، ربَما

---

(1) إبراهيم سعدي – تسعينيات الجزائر كنص سردي،الملتقى الدولي السابع للرواية عبد الحميد بن هدوقة، دراسة الملتقى السادس، دار هومة للنشر، الجزائر ص 24-25.

(2) مخلوف عامر-أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، المجلد 28، العدد 1 سبتمبر 1988، ص305.

تمثلهم أحلام مستغانمي أحسن تمثيل في " ذاكرة الجسد "<<.(1)

وحتى وإن اختلفت إيديولوجيات الروائيين فقد يجمعهم مصطلح " الرواية السوداء " <<التي كان من أهم ما يميّزها نقل بشاعة المحنة، وصور الأزمة الجزائرية المترامية الأطراف لتتنقل من عنف التقاليد إلى عنف المشهد والإنفعالات، عنف النص، عنف التخييل،عنف اللغة، عنف التعدُد الدَال على تعلُق الرواية بالواقع الإجتماعي الذي أنتجها، والكشف عن عنف الجماعات الإسلامية، والقمع العادي لسلطة عنيفة كما أنَ هذا التعدُد يعبر عن تنويعات رمزية للمقاومة ومواجهة الإرهاب بالكتابة>>.(2)

وهذا في ملامسة جريئة للواقع ألجزائري والقدر المأساوي الذي لاحق كل أفراد الوطن، في ظل تشظي العالمين السّياسي والدّيني ، فكانت اللغة السّردية الطّاغية على الرواية السّوداء مزدوجة، لغة حميمية سهلة تحمل في حروفها الكثير من الألم والوجع ولغة متوترة غاضبة تحمل شحنات من الثورة والرفض للوضع الدَموي لأنَ هذا النوع من الرواية لا يقدم حلا في النهاية بقدر ما يترك فعل القراءة معلَقا ، والأسئلة مطروحة تنقلها علامات الاستفهام والتعجّب...

ما يميّز الرّواية السوداء هو التعدُّد اللّغوي داخل المتن السّردي، فمن الفصحى إلى العاميّة، إلى اللّغة ألفرنسية، لتعطي للرواية بصمة التفرُد والإنتماء والخصوصية الجزائرية،<< والغالب في كل الأعمال الإبداعية هو بقاء الفصحى كلغة مركزية، ولئن

---

(1) بشير مفتي–الكتابة الروائية والأزمة الجزائرية، جريدة الشروق، العدد 159، 15/05/2001.

(2) ملامح كيساء ميساء : كتابة العنف/عنف الكتابة في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، الملتقى الدولي الحادي عشر لرواية عبد الحميد بن هدوقة، دراسات الملتقى العاشر، دار هومة للنشر، الجزائر، ص234.

استعملت اللغة الفرنسية فهذا الإستخدام يكون في حدود ما لا يصل إلى درجة المساس بالهويّة اللّغوية للرّواية>>.(1)

كما ركَزت الرواية السوداء على إبراز شخصية المثقف الجزائري بمختلف إنتماءاته المهنية والإيديولوجية، ليكوَن الشخصية المركزية داخل العمل السردي، وقد تعود ظاهرة هيمنة المثقف كشخصية محورية في النصوص السردية التسعينيّة كونه كان يحمل فكرا حداثيا مغايرا لسائد وقتها فاختلفت بذلك نقاط تأثيره وتأثُره بالوسط السياسي الديني الجديد، فمن المثقفين من بقي حاملا لرسالته دون أن يهزَه تيَار العنف، ومنهم من سقط في وحل المحنة من علياء ثقافته ليتحوَل إلى ثائر ظالم، مجرم ناقم على الحياة وهذا هو حال شخصية " نافاويلد "في رواية " بما تحلم الذئاب " ل " ياسمينة خضرا " الذي سنعرف سيرته في الجزء التطبيقي إذ كان اكبر مساهم في صنع العنف والموت.

والملاحظ أنَ الرواية السوداء المكتوبة باللغة الفرنسية كانت حاضرة بقوة في ساحة الإبداع السردي إذ<< ظهر جيل جديد تناول ظاهرة العنف بكل جرأة ولامس الحقيقة الجزائرية بكل موضوعية فقد مثّلت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الصورة الحقيقية للمجتمع، وبلاد تعيش تحت كابوس الإرهاب الأسلاموي>>.(2)

وعليه فالرواية الجزائرية المعاصرة، هي رواية تسعينات القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، وفي هذه الفترة أغلب الروائيون ركَزوا على الصراع بين المثقف والإرهابي فهذا الأخير ضد المثقف ويكره الوعي والفكر الأحادي، وكل ما يؤدي إلى

---

(1)إبراهيم سعدي: تسعينات الجزائر كنص سردي، ص 25.

(2)أمين الزاوي : الكتابة الروائية والأزمة الجزائرية ، جريدة الشروق ، العدد 159 ، 15/05/2001

العلم ومخالفته في الرأي، فالمثقف إذا في الرواية الجزائرية هو مثقف هزَته الأحداث المتسارعة، ممَا أدَى بهم إلى خيبة، رغم كل المجهودات التي بذلت في السنوات السابقة راجين الأفضل، ولكن راحت في مهب الريح، إلى جانب الديون المتراكمة التي أصابت كل شرايين المجتمع، وأحداث أكتوبر 1988 فهي الجزائر المنتهكة أو المغتصبة واغتنم الروائيون هذا الواقع المرَ الذي تعيشه الجزائر، فكتبوا في شكل روايات تروي الأوضاع المزرية والمأساوية حوله والأحداث السياسية، الإجتماعية والأمنية التي عجز المثقف عن التنبؤ بها والتعامل معها، فالرواية هي عالم عاكس للقيم و العلائق القائمة في المجتمع فأصبحت الرواية الجزائرية في التسعينات علامة بارزة في الرواية العربية بفضل جهود الكتاب والروائيين الذين نبغوا في هذا الإتجاه الفني.

وفي نهاية التسعينات أصبحت الأوهام القديمة مجرَد أطلال بالية لا يتوقَف عندها أحد وصعدوا إلى مقدمة المشهد " جيل الخراب والفوضى " جيل أنجبته مرحلة التحوُلات، ولم يختر الروائي أو الكاتب الجزائري طريق آخر سوى الكتابة.

مفهوم الصراع الإيديوليجي في الروايات المطروحة:

_ من خلال تحليلنا للروايات الثلاث :

• فالصراع الإيديولوجي عبارة عن تلك المواجهة والمناظرات الفكرية التي تسود بين الطرفين، أحدهما التيار الديني والآخر الليبرالي أو بين المثقف والسلطة أو بين طرفين الأوَل هو ثقافي والثاني هو سياسي، فكل طرف يحاول أن يدافع عن أفكاره يواجه الآخر بها.

•فالصراع الإيديولوجي هو عبارة عن عرض الأفكار لكن بصيغة مخالفة وهو الأكثر هيمنة على النصوص الروائية فنجده بارزا في الفترة الممتدة من الثمانينات إلى

منتصف التسعينات بصورة واضحة جدا، فهو خطر في المجتمع الجزائري من خلال المنظور الماركسي الواقع تحت تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي في الكثير من المواقف وخاصة موقفه من قضيَة الإدماج التي نادت بها الحكومة الفرنسية وأيَدتها النخبة المثقفة والبورجوازية الجزائرية.

اصطلاحاً : هي تعبير عن الأفكار السياسية أو الدينية وتعتبر مكوَناً أساسيًا في أيَ نصَ أدبي لأنها هي التي تكون بعده المعرفي وهي في الرواية شيئاً كائناً لامحالة، فهي إذاً « تستعمل من أجل إزاحة الطرف الآخر من طريقه، ويغدوا العنف أحد الأدوات الأساسية في الحوار سواء سياسياً، اجتماعياً، ثقافياً كان أو دينياً » (1)

---

(1)- علال سنقوقة : المتخيَل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة، الطبعة 1 ، جوان 2000، رابطة كتاب الإختلاف ، ص 37 – 61 .

الفصل الأول:

البعد الإيديولوجي في الرّواية الجزائرية

المبحث 1: الصراع الإيديولوجي في الرّواية الجزائريّة:

(الشّمعة والدّهاليز – سيّدة المقام)

تمهيد :

كشفت رواية التّسعينات عن وعي يرى العنف نتيجة للتطرف المتصاعد بأشكال، مثلّتها نماذج لشخصيّات تمارس العنف، يبدأ بفكرة تكبر شيئا فشيئا، ثمّ تتحوّل إلى تعصُّب تتخلّله مظاهر عدّة، إضافة إلى تطرف السّلطة، لينتهي ذلك كله بالقتل كأعلى درجات التّطرف.

من هذا المنطلق نسعى إلى التّعرف على هذه النماذج ونعمل على كشف طريقة تقديمها وتعاملها مع الآخر المختلف فكريّا وعقائديّا وسياسيّا وسنقف عند نموذجين عن الرّوايات الجزائريّة التي عايشت هذه الأزمة أو العشريّة السوداء.

1)_ الشّمعة والدّهاليز:

أ-التّعريف بالرّواية :

الشمعة والدهاليز هو عنوان الرواية للكاتب الجزائري الطاهر وطار التي صدرت عن منشورات التّبيين الجاحظيّة عام 1995.

تنقل رواية الشّمعة والدّهاليز التي تزامنت مع الانقلاب السياسي الذي عرفته الجزائر بعد أحداث 1988/10/05 ذلك الواقع الجديد بكل تناقضاته الجديدة.

فهي تحاول البحث عن الأسباب والمرجعيات التاريخية التي أوصلت الإنسان الجزائري المتحول باستمرار إلى اتخاذ العنف كوسيلة للوصول إلى السلطة.

يضع الطّاهر وطّار أمامنا بطله وهو شاعر، ثم يسير بنا الروائي لتتبع الأيام الزاهية التي عاشها بطله تحت رعاية عمه المختار، ودخوله مدرسة الميلية، ثمّ ثانوية فرانكو-ميسيلمان(بمعنى المدرسة الفرنسية الإسلامية) بقسنطينة، وأخيرا المعهد الفلاحي

بالحراش، والمؤتمرات التي شارك فيها في ألمانيا وتونس وصوفيا، وبتتبّع سيرة البطل ينقلنا الروائي إلى تاريخ الجزائر الحديث في أيام الثورة التحريرية، ثمَ مرحلة الاستقلال فمرحلة البناء والتشييد ليقفز بعدها إلى ما بعد أحداث أكتوبر 1988 والتغيرات التي عرفها المجتمع خاصة منها السياسية التي فتحت المجال للتعدُدية الحزبية، وحرية الرأي والتعدُدية الثقافية واللُغوية.

تتميز هذه الرواية بجمالية التلقي التي نثر أدواتها ضمن المتن الروائي فكانت اللغة إحدى آليات التلقي.

<< تكتفي الرّواية بمشهد واحد تتجلى فيه المحنة الوطنية ويتجلَى معه فصل من فصول الإرهاب، إنَه مشهد إرهابي، يتكوَن من بطل ممثل في الأستاذ الشاعر وجماعة ملثمة تهجم عليه في بيته وتحاصره وتوجَّه له طائفة من التُّهم تنتهي بإعدامه>>.(1)

ب-ملخَص الرَواية :

تجري أحداث هذه الرواية قبل انتخابات 1992 وهي من أسباب الأزمة السوداء التي أصابت الجزائر، و هذه الرّواية عبارة عن دهاليز و هذا الأخير يفضي إلى دهاليز سواء كانت وقائع أو حالات نفسية، ويوظف لنا الكاتب فترة الاستعمار ثمَ الثورة والتحرُر، والنصر والفوز للجزائر، وبعد السّنوات الأخيرة التي تحوَلت بواسطة الرُعب إلى دهليز كبير ومظلم.

بطل الرواية أستاذ جامعي الذي يتحدَث المؤلَف على لسانه عن فترة التسعينات فهو يكتشف الواقع الثقافي الجزائري المريض، ويحدَد مسببات المرض، في فترة اختلطت الموازين واهتزت قوى المجتمع الجزائري، فالبطل راح ضحية المجتمع الجزائري، نتيجة الصراع بينه وبين جماعة من الملتحين، الذين أرادوا أن ينظمَ إلى حزبهم وتيارهم الإسلامي، ولكنَه كان يرفض ذلك، فكانت النتيجة في الأخير أن يقع فريسة وضحية

---

(1) وذناني بوداود – الثابت الإيديولوجي – أعمال الملتقى الخامس،جامعة سعيدة-دط،دس. ص90-91.

لجماعة من الملتحين الذين قتلوه وتركوه ممزقا بالخناجر والرصاص،و هو جثّة هامدة وسط جموع وحشود تملأ المقبرة.

ج-أنواع الصّراع الإيديولوجي في رواية(الشّمعة والدّهاليز) :

تضم هذه الرواية التي تناولت جانبها ألمضموني بالتّحليل، صراعا إيديولوجيا بمختلف أنواعه (سياسية، فكرية، دينية...).

فهي تعالج في جوهرها موضوعا واحدا، يتجسَّد في وضع قائمة تفسيرات للحال الذي آل إليه الوطن، حيث تعدَدت الرُّؤى حول المسألة الواحدة، لتُحوَّل إلى صراعات إيديولوجيّة تقوم بتضخيم التضادّات الدَّلالية المتجادلة ذات التعارضات المسهمة في إغناء الرواية وإثرائها بخلق مجالات أوسع لإمكانية تشعّب تجلّيّاتها.

فالإيديولوجيا مكوَن خطابي يتمظهر في النَص بالاعتماد على اللغة الموظَفة التي تشكَل الأنساق المكوَنة للمتن الرَوائي، يستطيع المبدع استعانة بها تقديم، تعبير عن ذاته وخلق صور عن نفسه والآخرين والعالم الذي يحيا فيه، فالإيديولوجيا عنصر طاغي على متن هذه الرواية بأنواعها وأشكالها المتعدَدة و هذا ما سنتطرَق إليه.

1)-صراع فكري :

يوجد في الرواية صرع فكري بين المثقَف الفرانكوفوني والمعرَب و بين المثقَف وممثل التيار الإسلامي وأحوال الخلافة.

ويظهر ذلك من خلال البطل الذي يقول :

« الزعماء يلائمون بين المبادئ التي جعلتهم يهجرون وطنهم وبين احتضان أعداء وطنهم لهم لذا صاروا من ذنبات هاربة من اللَاشيء إلى اللَاشيء.»(1)

---

(1) الطاهر وطار – الشمعة والدهاليز، طبعة جديدة، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2004، الجزائر ص154.

كما تحدَث عن هذا « كما لو أنَهم خرجوا أجمعين من هذه المدينة ومن هذا العصر واستخلفوا مكانهم قوماً آخرين، وربَما أتوبهم من..... أقصى الماضي »(2)

يعني هذا أنَ إشكالية السلطة في ذهن البطل الوطاري تتبلور في تبعيتها للإمبريالية والاستعمار، وبالتالي فإنَ علاقة أيَ مثقَف بسلطته الوطنية تحكم بمدى مماشاتها للاستلاب الثقافي والحضاري وعدمه، فالحكومات الوطنية أضحت بلا هوَية، وما ذلك إلا لأنَها تريد كسب كلَ شيء دون أن تخسر شيئا من مصالحها.(3)

وتحدَث عن هذا أيضا في قوله « تمَ اقتسام التركة دون كتابة فريضته، يتواطؤ غريب استولى المفرنسون..... على المناصب الإدارية كلٌ حسب محسوبيته..... استولى المعرَبون على التعليم..... من كان ماضيهم مشبوها استولوا على الأسواق»(4)

2)_صراع سياسي ديني :

ويظهر ذلك من خلال السياسة التي آلت إلى الحزب القائم بين التيار الإسلامي والدولة الإسلامية التي تحاول القيام وتؤسس في حدود الدَين والشريعة، و هذا بارز في الرواية فنجد من أمثلة ذلك :

« كانت الجزائر في منزلة من المنزلتين، بين رئيس راحل، ملايين تبكيه وملايين تنهش عرضه، وبين رئيس قادم يقدح في الرئيس السابق، ويستسلم لقدح الناس وانتقاداتهم، بما فيهم الأطر التي يعتمد عليها، اجتمعوا على أنَ الاشتراكية لا تنفع كما أجمعوا على أنَ الرأسمالية بلية البلايا»(5)

---

(2) نفس المصدر (الشمعة والدهاليز) ص18.

(3) د_ لينة عوض. تجربة الطاهر وطار الروائية بين الإيديولوجيا وجماليات الرواية، عمان ألأردن2008،ص127,

(4) الطاهر وطار – الشمعة والدهاليز، طبعة جديدة، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر2004.ص130.

(5) نفس المصدر (الشمعة والدهاليز) ص 153 .

بمعنى أنَ الجزائر كانت تعيش حالة من الضياع بعد رحيل الرئيس هواري بومدين وتحاول ملأ الفراغ الذي تركه وتستعد للقاء جديد لرئيس جديد علَه يسدَ الفجوات التي خلقت في وسط الشعب الجزائري يعني أنَه ليس هنالك إلاَ الذات الحقيقية والجوهر الأصيل يبتعدان عنه كعرض زائل، شمعته الوحيدة هي هويته العربية الجزائرية وكلَ الدهاليز الأخرى ستسقط تباعا أمام نورها (فرنسا، السلطة الفاسدة، الإمبريالية،الاستلاب في الماضي الإرهاب) الآخر بكلَ أشكاله.(1)

كما أنَ سياسة السلطة تقوم على احتواء مختلف الاتجاهات و هذا ما أدركه الطاهر وطار في روايته، فالسلطة كانت أشبه بالحاوي يلعب على الاتجاهات كافة.

أما الصّراع الدّيني فيتَضح جليّاً من خلال شعارهم :

« لا إله إلا الله محمد رسول الله عليه نحيا ونموت وعليه نلقى الله »

« أسوء إمام في هذا البلد يحافظ على الهوية، ولا أحسن عالم يؤدي بالأمة إلى متاهات الاعتزاب، يجهز على هاته الأمة وعلى ما تبقى منها...»

« من يكونون؟ من نكون؟ لسنا فرنسيين قطعا لسنا مسيحيين قطعا لسنا اشتراكيين قطعا»(2)

التّركيبة العنوا نيّة في رواية (الشّمعة والدّهاليز) :

ننطلق من العنوان الرئيسي" الشمعة والدهاليز " كمركب اسمي عطفي يوحي بوجود تعارض رمزي لمعان دلالية تفضي بتناقض وتضاد مفهومي بين الأشياء المكوَنة للشَمعة (النُور، النَهار، الهدوء، السكينة، الخير، الهدى، العلم، الحضارة، العقل).

---

(1) د_لينة عوض، تجربة الطاهر وطار الروائية بين الإيديولوجيا وجماليات الرواية، الطابعون جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن. ص89-90.

(2)الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، طبعة جديدة، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون مطبعة الجزائر 2004.ص84.

والدهاليز : (الظلمة، اللَيل، الاضطراب، التوتُر، الشَر، الضلال، الإرهاب، التخلف، الرجعية، الفساد) <<إذ يجمع الروائي في عنوانه بين المتناقضان والنتقابلان الضدية

في آن واحد ومصدر ذلك رؤية جدليَة لا تمانع في أن يجتمع متناقضان في لحظة واحدة>>.(1)

<<ويتناص العنوان الرئيسي مع العناوين الداخلية للفصول، ذلك أنَ متن الرواية ينهض على شقَين اثنين اتّخذ الأوَّل عنوان دهليز الدَهاليز، وهو تركيب إضافي يحمل دلالة قويَة تحيل إلى بؤر الظلمات يخصصه لعملية تشريحية للأوضاع السائدة، مميَزا عفن الممارسات السياسية البائنة في تجلَيات تأتي لإبرازها في حينها، وهو في هذا الشَقَ يتناصّ مع الجزء الثاني من عنوان الرواية (الدهاليز)>>.(2)

2- سيدة المقام (واسيني الأعرج)

أ)_ التعريف بالرواية :

رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج أو مرثيات اليوم الحزين واحدة من الروايات الجزائرية التي واجهت التطرُف الدَيني الذي عانت منه الجزائر، نشرت هذه الرواية بدار الجمل

بكولونيا،ألمانيا " وذلك سنة 1966 م ونشرت أيضا من طرف المؤسسة الوطنية للفنون

1997 م، تحتوي على 285 صفحة وصدرت سنة 1995 م عن منشورات الجمل تتضمن إحدى عشرة فصلا هي :

-مكاشفات المكان.

-ضلال المدينة.

---

(1) بيير زيما : التنمية الإجتماعية، نحو علم اجتماع للنص الأدبي. ترجمة :عايدة لطفي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، طبعة 1،القاهرة 1991.ص12.

(2) مخلوف عامر : أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، المجلس الأعلى للثقافة والفنون. دولة الكويت مج 28.الكويت 1999. ص309.

-فتنة البربرية.

-حنين الطفولة.

-محنة الاغتصاب.

الجمعة الحزينة.

-الجنون العظيم.

-البحر المنسي.

-حراس النوايا.

-إغفاءة الموت.

-نهاية المطاف.

فرواية سيدة المقام تروي<< قصة العنف الذي جرى في مرحلة التسعينات.>>(1)

ب)_ ملخَص رواية (سيدة المقام) :

رواية واسيني الأعرج " سيدة المقام " بطلها هو أستاذ جامعي شاب درس الفنون الكلاسيكية في روما، ونال منها شهادة دكتوراه، وقاوم الإغراءات للبقاء خارج الوطن الذي ينام تحت بلده، فعاد إلى بلده متحمّلا كلَ المصاعب، ويلوذ البطل بعشقه للموسيقى والباليه والفنون التي تخصص فيها ذلك الوقت بالذات تعرَف على " مريم " عندما جاءت لتحضر دروس عن الفنَ فقد كانت مثله مهووسة بالفنَ متمرَدة على الظروف الاجتماعية وعشقت الباليه، بعد أن اكتشفتها عاشقة روسية لهذا الفنَ الذي سعت إلى ترسيخه في الجزائر وسعت إلى نشره .

وشجَعت مريم على الالتحاق بالدَروس الحرَة للفنون بالجامعة ويكون ذلك بداية اللقاء الذي يجمع بين البطل أستاذ الفنون ومريم عاشقة الرقص وتتوهَج العلاقة بين الاثنين، ومن المنطقي أن لا تصل علاقة الحبَ بين البطلين في تمرُدها المقترن بعشق الفنَ وجنون الإبداع إلى نهايتها الطبيعية في عالم جامد فاسد يموج بالظلم والجهالة، وهو

---

(1) الشريف حبيلة، الرواية والعنف : دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، إربد . عالم الكتب الحديث . د_ط، 2009 . ص11 .

عالم أفسدته سياسة الحكّام أوّلا (بنو كليون) وتركته فريسة سهلة للمتطرّفين الدينيين (حراس النّوايا) ثانيا.

والنتيجة هي اغتيال الحبَ في زمن لا يعترف بالحب سوى الكره والغضب والاستبداد والتخلُف، فالراوي إذن هو البطل الذي يقصُ علينا نحن القرّاء مأساته ومأساة حبيبته في إحدى عشر فصلا كلُ واحد منها يتجاوب مع غيره، وبواسطة تصاعد الأحداث فهذه الرواية ترصد لنا الجزائر المنهكة في بعد من أبعادها وهي توهج الفنَ لابدَ أن تطأه العقول المظلمة، كأنّه رغبة النُور والإبداع الطليق يصطدم بالواقع الذي يخترق الرّغبة كالرصاصة التي اخترقت رأس مريم، والتي ظلّت فيها كبذرة الدّمار التي سرعان ما أنتجت الموت عندما تمرّدت مريم على الشروط الضرورية الجسدية في رقص شهرزاد في الباليه المأخوذ من موسيقى " رمزي كرساكوف " خصوصا في اللّحظة التي يشفى فيها الجسد بفعل الموسيقى تنتهك قواعد الجسد نفسه، فتتحرك الرصاصة الكاملة في رأس مريم التي سرعان ما تموت في المستشفى تاركة حبيبها الملهوف مفجوعا تائها مدمّرا،فيمضي متخطبا مطاردا ملعونا من حراس نوايا وهاربا منهم ومن يأس إلى قمّة " حسر تليملي " العالي لم ينتحر بل مزّق أوراقه، تماما كما انتحرت الشاعرة الجزائرية " صفية كثو " وهذا كلّه يعود إلى أخطاء بسبب " بنو كليون" و " حراس النوايا " إنَ مريم هي بطلة الرواية فهي في صراع مع المجتمع الذي تعيش فيه نتيجة الفنَ فهم يرفضون ولا يعترفون به إطلاقا باعتباره يغضب الله، وراحت في الأخير ضحيّة الرصاصة التي اخترقت مخّها نتيجة أحداث أكتوبر 1988.

أنواع الصراع الإيديولوجي في رواية (سيدة المقام) :

تضمنت هذه الرواية التي تروي لنا أحداث العنف والشغب التي عرفتها الجزائر إبّان العشرية السوداء صراعات سياسية وثقافية ودينية فهي نزاعات بين شخصيات هذه الرواية فالإيديولوجيا في هذه الرواية تظهر بشكل واضح و هذا ما نبحث عنه.

1)_ صراع سياسي :

يظهرلنا هذا الصراع من خلال<< حراس النوايا الذين يندَّدون بالسلطة والحزب الواحد وهم إسلاميُّون كما يدَعون والذين بنوا ظلامهم على الرعب والذبح والإخفاقات ويبرز أيضا الصراع بين المجتمع ومريم راقصة الباليه وكيف ألقوا الحكم على أنَها غير محترمة بمخاطبتهم لها بعبارات غير أخلاقية، ولكنَها تحدَت وحاربت العنف المتمثَل في محاربة الوافدين الجدد " حراس النوايا " ولم تخضع لما كانوا يريدونه>>.(1)

فحراس النوايا كان شغلهم الشاغل ممارسة العنف والتخريب والدَمار وتجد في الرواية ما يبيَن ذلك :

« حراس النوايا بدؤوا يحوَلون إلى جيش منظَم يتحكم في عنفوان المدينة. تعرف ؟!لم أعد أشعر في هذه المدينة بأي أمن أبدا. بإمكانهم أن يخرجوا في كأس قهوتك المسائية أو من فجوان حيطان حجرة النوم، وينصبون مشانقهم ويجهزون النطع لقطع رأس يري أكثر مماَ ينبغي ».(2)

2)_ صراع لغوي :

و يظهر لنا هذا الصراع في نظرة المجتمع إلى مريم بأنَها راقصة باليه ساخطة، فمستواها أدنى من الأخريات وألقوا الحكم على أنَها غير محترمة لا تملك ذرَة من الأخلاق ويخاطبونها بطريقة السخرية والاحتقار حينما يقولون لها :

<<« ظهر الحقُ وزهق الباطل » « إن الباطل كان زهوقا » « طحَان _ وأنت واش تكوني ؟! مجرَد راقصة ، الي يجي يركب فوقك ، تشربين الويسكي والريكار وترقصين

---

(1) الشريف حبيلة : الرواية والعنف ، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، إربد،الاردن ، عالم الكتب الحديث – د ط.2009. ص45.

(2) واسيني الأعرج : سيدة المقام ، موفم للنشر ، الجزائر ط 1997/2. ص 118.

مع المسؤولين » « حيوان أنت ولاَ بني آدم ؟ قحبة والاَ عذراء تقيَة ؟ »>>(1).

فمريم ضحية الرصاصة أوَلا والمجتمع ثانياَ.

3)_ صراع ثقافي فكري :

فالمثقف في هذا المجتمع ما هو إلاَ ضحيَة لاثنين: العسكر والإرهاب وعدم فهم السلطة للشعب والشعب بدوره فقد الثَقة نهاية بالسلطة والفتاة ضحية أحكام المجتمع القاسية وتقاليده.

فالأفكار المتطرَفة بين الاتجاهين " حراس النوايا " وهم الإسلاميون و " بنو كليون " وهو السلطة خلقت الصراع الدائم بين الشعب فالمثقف هو ضحية هاذين الإتجاهين المتناقضين.

فالرواية تحصر القمع السياسي في السلطة، وأسلوبها في التعامل مع السياسيين وعامة الناس. فهو يعرض شكلين من القمع، تمارسها السلطة، أحدهما في الحياة العامَة يوميا خلال فترة العنف، والثاني يمثَله الاعتقال ضد الخصوم السياسيين، والآخر المختلف إيديولوجيا، لذلك كان رجل السلطة مهما كانت مرتبته ، متهم في الرواية بالعنف يؤديه كجزء من وظيفته. تبنى هذه الرواية هذه الشخصيات بطريقة تنسجم مع وظيفتها في النص، وهي القمع، يحكم سلوكها وتفكيرها وهو الأسلوب الوحيد في متطور السلطة لتحافظ على الحكم.

فالراوي وظَف " بني كليون "، مضيفا عليها بعض الإشارات، والسلوكيات التي تبرز فساد السلطة أكثر، ثمَ التواطؤ مع " حراس النوايا " المتمرسين في امتهان العنف ضدَ من يخالفهم، وهي صفة كسابقتها، تحمل معنى الإدانة.(2)

يروي الراوي أنَ (بني كليون) مهَدوا الطريق لظهور (حراس النوايا) وفتحوا أمامهم

---

(1) واسيني الأعرج : سيدة المقام ، موفم دار النشر ، الجزائر ط 1997/2. ص 84 – 94.

(2) نفس المرجع ، الشريف حبيلة . ص115.

المجال ويظهر هذا جلياً في هذا المقطع :

« السلطة تتخلى عن كلَ شيء لفقهاء الظلام، بالأساس لا يختلفان في الجوهر، بنو الفيلات، سرقوا خزائن الوطن، فتحوا حسابات بنكية في البلدان البعيدة، الشمس ولا تغطى بالغربال، العداوة ازدادت والسلطة لو تغسل بالجافيل، لن تستعيد جزءاً صغيرا من مصداقيتها، هي التي خلقت حراس النوايا وهم الذين يأكلون رأسها، أو تأكل رأسهم».(1)

بمعنى أنَ اللغة تمارس عنفا في توصيف فساد السلطة، ردَا على تمهيدها الطريق (لحراس النوايا)،<< وضعت الرواية في مواجهة السلطة، اتخذها الكاتب وسيلة لهذا عجز أو رأى استحالة المواجهة الفعلية في مستوى الواقع، وهو نوع من ردَ الفعل، يعبَّر فنَياً عن غضب المبدع، فجاء الراوي صورة له، بل يمكن القول أنَه هو ذاته، لأنَ المثقف غالبا ما يهرب إلى اللغة التخيلية (الرمز) ليكتب بها رفضه لفساد السلطة>>.(2)

التركيبة العنوا نية في رواية (سيدة المقام) :

العنوان الرئيسي سيدة المقام مركب من كلمتين تحملان دلالات ومعاني كثيرة :

فسيَدة : المحترمة – الشريفة – الجميلة – الجزائر – الحبيبة – الصالحة – الأنثى.

والمقام : الشرف – المكانة الاجتماعية – مقام الولي الصالح – البلد – الجزائر .

فهي معاني كثيرة مرادفة لبعضها البعض فالعنوان تركيبة لمعان متشابهة ومتماثلة.

---

(1)_واسيني الاعرج:سيّدةالمقام،موفم للنشر ،ط2،1997،الجزائر .ص55

(2)_الشريف حبيلة : الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، إربد(الاردن) ، عالم الكتب الحديث، د_ط . 2009 . ص 182 – 183 .

الفصل الثانـي:

الإيديولوجيا في رواية بم تحلم الذئاب

دراسة البعد الإيديولوجي في رواية " بما تحلم الذئاب " :

تمهيد :

بعد أن طلَقت الجزائر إيديولوجيّتها السّابقة الشيوعيّة دخلت البورجوازيّة وهي تمدُّ أشعَّتها نحو زقاق المجتمع الجزائري بحثا عن حياة أفضل،حياة التَّرف والجاه وذلك من خلال الكماليّات والطَّرب والمسرح والسّينما لإيهام الشباب الجزائري بأنَ مرحلة الإيديولوجيا ولَت وجاءت حياة مغايرة فيها الكثير من نكهة الغرب لكن هذا عاد بالنَفع الكبير على مجموعة من ذوي النُفوذ الذين جمعوا المال ودمجوا بين السلطة والمال ربَما هم الذين أطلق عليهم اسم " المافيا ".

ومن خلاله انقسم المجتمع الجزائري إلى طرفين أو طبقتين الطبقة البرجوازية النبيلة والطبقة البسيطة التي لا حول لها ولا قوَة لها،تترقَب الفرصة التي قد تحيل لها درجة النُبل و هذه الحالة بالذات كانت مركز الصراع الاجتماعي والفكري في بلد يسمَى " الجزائر"،إلاَ أنَ الحركة الإسلامية الجزائرية تتأهَب للخروج من الكواليس إلى الخشبة و هذا ما أدَى إلى الصراع الإيديولوجي و إلى انفجار ظاهرة الإرهاب الديني المسلَح في الجزائر، وأحداث الرواية التي نحن في صدد دراستها تبيَن لنا الصراع الإيديولوجي في المجتمع الجزائري آنذاك والتي عالجت الواقع المرير الذي عاشه المجتمع الجزائري في تلك الفترة والتي سمَيت بالعشريَة السوداء.

1-ملخَص رواية بم تحلم الذئاب ل"ياسمينة خضرا" :

يلقي الكاتب الجزائري ورئيس المركز الثقافي الجزائري بفرنسا محمد مولسهول، الذي يستخدم اسمه الثاني في أعماله الروائية " ياسمينة خضرا " في روايته الموسومة ب" بم تحلم الذئاب" الضوء على سنوات العشرية السوداء التي مرَت بها الجزائر في آخر عقود القرن الماضي.

من خلال شخصية نافا وليد، وهو شاب من حيَ باب الواد الشعبي بالعاصمة يعطي نظرة مثالية عن الشاب الجزائري الذي عاش حياة دراماتيكية عصفت به نحو التطرُف إلى عنصر من عناصر العنف الشديد الذي ألقى بظلاله على الجزائر لعدة سنوات مخلَفا آلاف القتلى والمفقودين .

" بم تحلم الذئاب" هي دراما لحياة شاب من أبناء العاصمة يعيش حياة مختلطة الأحداث والتوجُهات والتقلُبات جمعت بينها الرغبة في التعبير عن شيء ما... ومحاولة الوصول إلى هذا الشيء، حكاية نافا وليد ابن العاصمة الذي يحلم أن يصبح في أحد الأيام ممثَلاً سنيمائياً مشهوراً بعد أن تولَدت لديه هذه الرغبة حين شارك في دور صغير في أحد الأفلام التي فشلت فشلاً ذريعاً، يجد نفسه بين الأحلام التي تقتلعه من حالته اقتلاعاً وبين الواقع الذي يحتَم عليه أن يصبح سائقاً لدى إحدى الأسر العريقة في البلاد ليرى معها شواهد على الفروق بين الطبقات الثريَة والطبقة الوسطى التي انحدرت لتكون في مكان الطبقة الفقيرة.

ومن خلال عملية قتل وحشية يقوم بها أحد الخدم لصالح ابن السيَد الشاب لمجرَد حادثة بسيطة، تتبيَن حالة من القسوة والتعالي يعبَر عمها وليد نافا بالقول « كأنَهم الوحيدون الموجودون في هذا العالم » ومن هذا المنطلق تتكوَن عناصر جديدة تدفع بوليد لأن يعبَر عن الأشياء بعنف أكبر .

ربَما يكون في ظهور الإسلامي السياسي بداية التسعينات معبر آخر عن الحالة الإجتماعية التي وصل إليها الجزائريون، فمن خلال شخصية وليد يظهر لنا الكاتب كيف يتحوَل من شاب بسيط من حيً شعبيً إلى شاب يحاول أن يطبَق بالقوَة ما يراه

أنَه حلٌ لما تمرُ به البلاد من مشاكل حين ينظمُ إلى حركة متطرَفة وبعدها إلى تنظيم مسلَح، ليجد نافا وليد نفسه في معركة مع السلطة ومع أفكاره وأهوائه ... يتحوَل من فتى بسيط من حيَ باب الوادي إلى شخص يمارس القتل بلا ضمير، في الجبل يصبح أمير إحدى الفرق ويقوم بإطلاق العنان لرغباته المكبوتة ... القتل ثمَ القتل.

وهنا تتزامن هذه الأحداث مع ظهور حركة الفيس التي تغزوا قلوب الشباب خاصة، فتسيطر هذه الفكرة على الشاب وليد الذي ينظم إلى الحركة وبعدها إلى التنظيم المسلَح، وهنا يجد نافا نفسه في معركة مع السلطة ومع أفكاره وأهوائه.

بهذه الطريقة يتبع الكاتب مسار هذا الشاب « من فنان بسيط إلى الانحدار شيئاً فشيئاً في هاوية الإرهاب، وتلك حال الكثير من الشباب من أبناء الجزائر الذين انقادوا في ظلَ الفراغ السياسي، وفي ظلَ تفاقم الأزمة الاقتصادية والنفسية، وفي ظلَ الفراغ الثقافي وتحجيم وقمع الحرَيات الفرديَة » إلى المضيَ في طريق الظلام الذي حوَلهم إلى ذئاب بشرية تحترف ممارسة العنف. ولهذا يمكن القول، أنَه قد نشأت أزمة جديدة تضاف إلى عدد الأزمات التي ضربت الجزائر وهي " أزمة الفنَ " والحصار الذي مورس تجاهه، وهذا ما يظهر في هذه الرواية، حيث طالت هذه الأزمة أيضاً شخصيَتين في الرواية وهما "يحي" الموسيقي، وشخصية "سيد علي" الشاعر، فالفنان هو ابن بيئته ومرآة صادقة لمجتمعه، فهو يرتقي لرقيَه ويتخلَف لتخلُف مجتمعه، والفنان إن لم يجد الأرضيَة الخصبة لممارسة موهبته، فهو يدخل في صراعات فكرية لأنَه يتأثَر كثيراً بكلَ الجوانب المحيطة به، فإن وقع خلل ما في إحدى هذه الجوانب يقع حتماً خلل في رسالته ومساره الفنَي، وقد يتوقَف عن ممارسة هذا الفنَ، وهو ما حدث لكلً من نافا وليد الممثل ويحي الموسيقي في هذه الرواية حيث توقَف كليهما عن ممارسة فنَهما، وبالمقابل بقي الشاعر " سيد علي " صامداً في وجه الظُروف القاهرة، مستعملاً فنَه كسلاح لمواصلة الحياة حيث دخل الفنُ بوتقة الأزمة، فتشكَلت بذلك الأزمة الفنَية على مستوى الرواية.

وهكذا وبعد أن أصبح الفتى البسيط شخص يمارس القتل بلا ضمير، ويصبح في الجبل أميراً لإحدى الفرق، يقوم بإطلاق العنان لرغباته المكبوتة (القتل، ثمَ القتل)،

يغزوا القرى ويقوم بذبح كلَ من فيها، يبقي لنا " ياسمينة خضرا" نهاية الرواية مفتوحة، وذلك بعد أن يحاصر " نافا وليد " في إحدى المساكن من قبل رجال الأمن.

هذا بصفة عامة أحداث هذه الرواية، بم تحلم الذئاب؟ كما قال عنها مترجمها إلى اللغة العربية " أمين الزاوي "، تجمع ما بين الأدب الروائي الواقعي حيث حاول من خلالها " ياسمينة خضرا " أن يلقي الضوء على أحداث العشرية السوداء التي شهدت فيها الجزائر أعنف سنواتها بعد الاستقلال اثر انتشار ظاهرة الإرهاب المسلَح ... "نافا وليد" نموذج لعديد الشباب الجزائريين الذين هربوا من جحيم الانغلاق السياسي والاقتصادي، إلى الحل الإسلامي الذي دعا إليه الفيس، قبل أن يجدوا أنفسهم في أحضان الإرهاب.

2-الإيديولوجيا في الشخصية :

تلعب الشخصية دوراً هاماً وأساسياً في بناء الرواية، إذ أنَها مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث من خلال تحركاتها والعلاقات بينها، كما أنَها ليست نموذج عن الواقع كما هو إنَما تتجاوزه فتصبح معادلا فنَيل للشخصية الواقعية ونموذجا لفئة معيَنة.

يرى نجيب محفوظ أنَ:« لشخصية الطبيعية عند دخولها في الرواية تتخذ وظيفة جديدة تدلُ على معنى جدد وتكون جزءا من لوحة كبيرة حتى أنَنا في النهاية ننسى الأصل في الحياة ولكنَها في الرواية غيرها في الحياة وإلاَ لما كانت فنَا على الإطلاق »(1) تعتبر الشخصية مصدر الخير والشر في أيَ عمل روائي فنَي، حيث أنَ الكاتب يقيم عليها فعله وهي في نفس الوقت تتعرَض لإفراز هذا الشر أو ذلك الخير وهي بهذا المفهوم وظيفة أو موضوع «ما من شكَ أنَ الحياة قد تغيَرت إذا قورنت بما كانت عليه في العصور السابقة على هذا العصر وكان لذلك أثره في الفنَ والفكر وصياغتها»(2).

تعتبر الإيديولوجيا قناع أو نمط سياسي ونظرة كونية أو نمط اجتماعي أو نمط معرفي، وفي رواية "بم تحلم الذئاب" تعدَدت الأصوات والحوارات بين أنماط الوعي المتعارضة في الرواية والشخصية تحمل شحنة إيديولوجية تجسَد ذلك الصراع الاجتماعي والسياسي في الرواية، لهل صوتها الخاص وموقفها الخاص ولغتها الخاصة وإيديولوجيتها الخاصة، وبنى الكاتب "ياسمينة خضرا" روايته " بم تحلم الذئاب " على تركيب محكم لأصوات الشخصيات الساردة التي تحكي حياتها وحكايات الآخرين، لقد شاركت الشخصيات كلُها في وظيفة واحدة ألا وهي تصوير الواقع الذي عاشه المجتمع الجزائري في العشرية السوداء،« تخلَى المؤلَف السارد عن جميع

---

(1)-حسام الخطيب: بناء الشخصية الروائية في رواية نجيب محفوظ، دار الحداثة للنشر والتوزيع ، ط1، لبنان، ص181.

(2)-سعد أبو الرضا: معالجة النصَ في كتب الموازنات التراثية(منهج وتطبيق) منشأ المعارف الإسكندرية ص55.

مسؤوليات الخطاب لفائدة شخوصه، إذ يدعهم يتكلَمون بصيغة ضمير المتكلَم لرواية الأحداث والتعليق عليها في آن واحد»(1).

وقد تبيَن لنا ذلك من خلال هذا المقطع الذي نستشهد به من الرواية « ... في بلادنا لن يحصل المرء على الخلود إلاَ عند الشعب البسيط، فعند البسطاء من الناس تجد العزَ كاملا، الرسميون يهنَئونك في المساء وينسونك في اليوم التالي ...»(2).

هنا الشخصية الساردة تتحدَث عن الواقع الذي يعيشه الشعب الجزائري وأنَ المرء لن يحصل على قيمته وكفاءته إلاَ من الشعب البسيط أمَا الطبقة الرسمية أو العليا فلا تكترث له ولا تصبُ عليه الاهتمام بل تقف معه في لحظة ثمَ تنساه ويصبح عابر سبيل أمَا عند الشعب البسيط يبقى دائما خالدا في ذاكرتهم.

فالشخصيات الروائية لها عدَة وظائف تتحكَم فيها من خلال المؤلَف والكاتب « إنَ العناصر الدائمة والثابتة داخل الحكايات هي وظائف الشخصيات، كيفما كانت طبيعة هذه الشخصيات، وكيفما كانت الطريقة التي تمَت وفقها هذه الوظيفة »(3).

الشخصيات التي استخدمها الروائي ياسمينة خضرا في رواية " بم تحلم الذئاب " :

أ **_الشخصية المركزية** : رواية " **بم تحلم الذئاب** " ترتكز على ثلاثة شخصيات رئيسية استندت عليها أهم الأحداث وهي: " نافا وليد "،" يحي "،" سيد علي " .

---

(1)–جيرار جنيت: حدود السَرد، ترجمة بن عيسى بوصالة، مجلَة آفاق، الغرب .عدد 9/8 سنة 1988 .ص64.

(2)–ياسمينة خضرا : بم تحلم الذئاب ، ترجمة وتقديم أمين الزاوي ، دار المغرب للنشر والتوزيع . ص45

(3)–سعيد بنكراد : السيميائيات السردية ، مدخل نظري ، منشورات الزمن ، الرباط ، سنة 2001 ، ص 19.

_التعريف بالشخصية المهيمنة الرئيسية :

" **نافا وليد** " شاب من الطبقة البسيطة في المجتمع الجزائري كان يحلم بأن يصبح فنَاناً مشهورا في السينما لكن الأقدار رمت به إلى السياسة الدينية والثقافية والإجتماعية والتي وضعته بين أحضان هاوية الإرهاب والعنف وهو أهمَ شخصية اعتمد عليها

الكاتب في سرد الأحداث إلى جانب شخصيات أخرى وهما " **يحي** " الموسيقي و " **سيد علي** " الشاعر إذ ركَزت ليها الرواية وهي بمثابة العمود الفقري لها، وإذ أمعنَا النظر فيها نجدها تنتمي إلى عالم الفنَ والثقافة، لهم حلم وطموح مشترك وهو بلوغ الهدف ألا وهو الإبداع في مجال الفنَ وتحقيق الشهرة، والفنُ مرتبط بشكل مباشر ودائم بمجتمعه ويرتقي لرقيَه ويرى نفسه مرآة صادقة عن البيئة والمجتمع الذي ترعرع فيه منذ طفولته وساهمت بالدرجة الأولى في تكوين شخصيته وفي تحديد موقفه وأفكاره واتجاهه وإيديولوجيته.

لقد تعدَدت الأصوات التي تكشف لنا البعد الإيديولوجي في الرواية « ... إنَ الإيديولوجيا أوى الأصحَ الإيديولوجيات موجودة هنا داخل النص الروائي وهي مناقضة لبعضها البض ... »(1)

في القسم الأوَل من الرواية نتحدَث عن " نافا وليد " الذي تحدَثنا عنه سابقا صاحب الطموح الكبير وحلمه بأن يصبح من أشهر الفنَانين الممثلين السينمائيين وقد كان يرتقب، اللحظة التي سيتحقق فيها هذا الحلم وما توضَح لنا ذلك هاته المقاطع من الرواية « ... لقد اقترح عليَا أداء دور صغير في فيلم سينمائي، فكرت في أنَ إمكانية بناء مستقبلي في السينما ... »(2)

---

(1)–حميد لحميداني : دراسة في سوسيولوجيا الرواية " حول مفهوم الغولدماني والحوارية الباختنية " ، مجلة الدراسات السيميائية، العدد الأوَل ، المغرب ، سنة 1987 ، ص 129 .

(2)–المصدر نفسه، ياسمينة خضرا " بم تحلم الذئاب "،ص 50 .

بدأ " **نافا وليد** " الإقتراب من الحلم فهو يعمل لدى صاحب أكبر عائلة بورجوازية نبيلة، فهي الفرصة التي ستحقَق له الشهرة والعيش في الحياة الباذخة والكريمة فالمال هو مصدر السعادة التي تكون مع إحدى هاته العائلات، لكن على السيَد " نافا وليد " أن يقبل بكلَ الأوامر التي تصدر له ويرضى بكلَ المواقف التي ستحدث له ولو كانت على حساب عزَة نفسه وكبريائه، فالوصول إلى الهدف والنجاح والشهرة مقترن بقبوله وسكوته فهو من الطبقة البسيطة وما عليه إلاَ أن يجيد هذه اللعبة ويبدو هذا واضحا من خلال هذا المقطع

« نافا إذا أحسنت اللعبة مع شلَة المتعجرفين هذه فستذهب بعيدا في أقلَ من ثلاث سنوات ستكون قادرا على تأسيس شركتك الخاصة إنَ مديرنا بدأ كرجل متاعب عند

ناس من الطبقة العليا،اليوم،فليس لرؤسائك القدامى ما يحسدهم عليه...>>(1) وهكذا بدأت اللعبة مع " نافا وليد " إنطلاقا إلى الحياة المغايرة والسعيدة، بعيدا عن الأحياء القذرة والتَخلُص من الحياة البسيطة متَجهاً نحو الرُقي والعلا وهذا ما يبيَنه هذاالمقطع الذي سافر فيه " نافا وليد " : « السيارة تمكنت من التَملص بسهولة من جلَة الأحياء القذرة لتنطلق في طريق سريع مزدوج، التفت من حول التلَة لتطل على قطعة من جنَة بطريق معبد هائل وأرصفة عريضة وواسعة، بقدر الساحات مزينة كانت بنخيل باسق، الشوارع خالية متخلَصة ومستريحة من قوافل الأطفال المتمرَدة تلك التي تعجُ بها الأحياء الشعبيَة الكثيفة »(2) وليد الذي نشأ فقيرا بحيَ " القصبة " في ظروف اجتماعية صعبة،فعائلة " آل راجا " التي عمل عندها كسائق تملك الجاه والسلطة كغيرها من العائلات الغنيَة التي عاشت في الجزائر مستفيدة ممَا كان يحصل في العشرية السَوداء، وهنا كانت أوَل محطَة يصطدم فيها " نافا " بالعنف،عنف في

---

(1)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 26 .

(2)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 35.

المعاملة، وعنف في المشاعر، ويدخل في أوَل صراع ذاتي بين البقاء في العمل لتخفيض صعوبة ظروفه الماديَة، أو الإستقالة درءاً للذلَ الذي كان يتعرَض له إذ يقول في حديث داخلي « وبما أنَني أتجرَأ أن أستقيل أو أنسحب أدركت بأنَني فاقد الكرامة، لقد خانتني شهامتي، كلُ ذلك نظرا للتنازلات التي أقدمت عليها بين رغبة الإنصراف وواقع الإنسحاب اخترت الذلَ والمذلَة ببساطة التَعذيب الذَاتي »(1) زامن " نافا وليد " مهنته عند " آل راجا " أين تعرَف على صديقه " حميد " جمعتهم الأقدار وكلٌ منهما سرد أحداث حياته حتى وصل إلى هذه العائلة بحثا عن العمل

والحلم والشهرة بعدما عانوا من فقر وبأس وبيروقراطية وفساد وفي هذا يقول حميد « درت في كلَ مكان،مارست كلَ المهن الصغيرة وأنا أسكر كي أهضم خيبة آمالي ومرارتي اقترح عليَ صاحب البار أن أشتغل لديه، كان المكان يسيء السمعة،معرض أصيل للوحوش الأمَية »(2)

لكن " نافا " سيستقيل بعد الحادث الذي يعدُ بمثابة المنعطف في حياته بعد أن رأى بشاعة الجريمة لأوَل مرَة من طرف " جينيور " إبن السيَد " راجا "، والضحيَة كانت فتاة مراهقة حصلت من " جينيور " على جرعة زائدة من المخدرات،وبالطَبع هو لا يكترث

بما فعل، ويطلب من حميد حارسه الشخصي التَصرُف في الجثَة، فينقلها مع " نافا " خارج المدينة، نافا الذي لأصيب بصدمة كبيرة لهول ما رأى إذ طلب من حميد أن يطلب الشُرطة « عليك أن تطلب الشُرطة(...)لا تتفوَه بهذه الكلمة أبدا يا نافا،إنَ آل راجا يجهلون حتى معناها، ما يزعجهم هو الفضيحة، أمَا المأساة فلا تثيرهم »(3)

---

(1)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص61–62.

(2)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص46.

(3)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 89 .

" حميد " كان واعيا منه لأنَ أصابع الإتَهام ستُوجَه إليهم " فجينيور " هو من أصحاب النفوذ وهم من سيكون الضحيَة.

تخلَص " حميد " من الجثَة بطريقة مشينة على مرأى من نافا الذي يبقى مذهولا " في غابة باينام " « يضرب حميد الجثَة،ثمَ يضرب ويضرب... ملطَخا وجهي بالدَماء وبشظايا العظام المتناثرة، كلُ دقَة أو صوت كان يثقب فكري ويقوَسني أكثر لم أستطع إزاحة نظري عن وجه الفتاة وهي تتحوَل إلى عجينة »(1)

" **نافا وليد** " الذي كان يحلم بتحسين ظروفه في حضرة عائلة آل راجا التي طمح بأن يساعده أحد أفرادها في المضيَ قدماً في طريق الفنَ، بعد أن صرَح ذلك للسيَدة راجا وابنتها صونيا، لكن دونما اهتمام بالموضوع قابلتاه، فيجد نفسه بسبب هذه العائلة أمام مفترق طرق نظرا للنَوبة النَفسية الحادَة التي وقع فيها ودخل من خلالها في نوع آخر من الصراع الإيديولوجي، هو الصراع الديني/السياسي، تصالح نافا مع نفسه أخيرا بعد أن ذاق حلاوة الإيمان والأمن « استيقظ العالم من حولي، احتضنني ثمَ أنقذني من وساوسي ... وأخيرا استطعت البقاء واقفا دون أن أنحني، وأسجد دون أن أسقط، وأغمض عيني دون أن أتعرَض للإعتداءات الواخزة الكابوسية ... وتصالحت مع نفسي »(2)

وهكذا بدأ حياة جديدة بعيدة عن آل راجا، مقتربا من إخوانه المصلَين الذين يلتقيهم بالمسجد، لكن المفارقة تبدأ من هنا، ف " يونس " إمام المسجد سيستغلُ الحالة النَفسيَة

---

(1)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب . ص 91 .

(2)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 100 .

التي مرَ بها " نافا وليد " ليؤثَّر على عواطفه ويركَز على المواطن الحسَاسة في حياته، ليجد الفرصة لرسم هالة من الضبابية حول الوطن وسياسته الحاكمة فيخاطبه : « أنت حزين لأنَ بلدك يحتقرك، كلُ ما فيه يخيَب أملك ... ككلَ شباب هذا البلد فقد غرر بك، تمَ نسيانك والتخلَي عنك، من الآن فصاعدا لن تكون وحدك »(1) كما شكَل الموسيقار " يحي " جانبا مؤثَرا من جملة الصراعات التي تخبَط فيها نافا، من خلال دعوته تشجيع المدَ الإسلامي الجديد وترك الحياديَة « ألا تؤمن بخطاب الإسلاميين؟، أنا حيادي ما معنى أن تكون حيادياً؟ لا يمكن أن تكونوا حياديين عند مفترق الطرق نحن ملزمون باختيار مصير ما »(2)

وبعد خيبة الأمل النهائية لدخوله عالم الفنَ واستظهار موهبته التمثيلية كان من السهل استدراج نافا إلى متاهة العنف الذي سيكون كردَ فعل طبيعيَ وانعكاسي لما عاناه من صراعات، خاصة بعد أنفق كلَ ما كسبه في انتظار عودة " مراد بريك " الذي قاسمه غرفة في فندق بائس أثناء تصوير فيلم " أطفال الفجر "، فقد وعده بأن

يتوسَط له لأجل تسهيل عمليَة سفره إلى باريس ليقوم بتربُص يسمح له بالتَمثيل من جديد، لكن مراد ذهب ولم يعد (3)، ليزداد وضع نافا تأزُما، ويزداد ثقة بأنَ لا طريق لإثبات وجوده وفرض كرامته إلاَ طريق الجماعات المسلَحة. نافا وليد قبل أن يتورَط بالعنف « لم يكن يحلم سوى بامرأة زوجة، وبقلب ونسيان الماضي »(4)، وكانت حنان أخت الشيخ نبيل غانم الذي ساهم هو الآخر في جرَه إلى سلك الجماعات المسلَحة.

---

(1)–المصدر نفسه، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب،ص103.

(2)–المصدر نفسه ، ص 75 .

(3)–المصدر نفسه ، ص 139 .

(4)– المصدر نفسه ، ص 230 .

فقد كان متطرَفا حتى في علاقته مع عائلته فقد لاقت أخته حنان مصرعها على يده هو الذي اغتاظ عندما علم بمشاركتها في مسيرة تندَد بالممارسات الذكورية المتخلَفة، ومن جديد صدمة جديدة لنافا الذي يعترف « دمَرني موت حنان، إنَما تخلَت عنَي بعدما تعلَقت بها ... لم أحضر حتى مراسيم الجنازة يومها التزمت منزلي وصلَيت لها (1)»

وبعد أشهر يقرَر " نافا " الانضمام رسميًا إلى الجماعات المسلحة، بعد أن فقد طيبته وإنسانيته، وكان ضمن المجموعة الخاصة في تصفية رموز السُلطة ورجال الإعمال والشيوعيون والمثقَفون الذين كان من بينهم المخرج " رشيد دراق " الذي صرخ « غير صحيح، لست أنت يا " نافا "، مكانك ليس في جهتهم، هذا غير معقول أنت فنَان يا إلهي فنَان »(2) ... وهكذا انتقل نافا وليد من عشق الفنَ إلى قتله.

أ /1_شخصية " يحي " الموسيقي :

يدخل الموسيقار يحي–صاحب آلة المندلين–ضمن دائرة صراعات إيديولوجية لا تختلف كثيرا عن تلك التي عانى منها نافا، لأنَ الظروف الإجتماعية لمختلف الفنَانين

آنذاك كانت متشابهة، فهم يعيشون في عوز مادَي خاصة أنَ يحي كان مسؤولا عن

بل وجد منه الإستهزاء والسُخرية بالمقابل فأنَه كان ساخطا وناقما على هذا المجتمع ونظرته للفنَ، ما جعله يحتقر الموسيقى لأنَ ولا يمكن ل"يحي" أن ينجح أمام الكم الهائل من الصراعات التي يتخبَط فيها، إذ يقول مخاطبا " نافا "« ما عاد أحد يهتمُ

---

(1)–المصدر نفسه ، ص 145 – 149 .

(2)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 118 .

بجوقتي التقليديَة ... إنَني أخجل حين أحمل المندلين ... هل رأيت كيف نعامل؟»(1)

عائلة متطلُباتها عديدة، وكان قبل التحاقه بالجماعات الإسلامية المسلَحة يعمل سائقا عند عائلة آل سلطان وهو الآخر قد عانى من سوء معاملة أفرادها.

يتقن يحي العزف على آلة المندلين، فقد كان موسيقار سيد علي الشاعر كما يتقن بعض الألعاب البهلوانية التي تعتمد على خفَة اليدَ، ولأنَه لم يجد من محيطه التشجيع، ونظرا للفراغ الذي كان يعيشه " يحي " كان من السَهل أن يتسلَل الإسلاميون المتطرَفون إلى قلبه، وإقناعه بمدى أهمَيته كشخص، هو الذي كان يريد أن يثبت وجوده « على الأقلَ الإسلاميون لهم بعض الحظَ في تحريكنا، يلقون بنا في مشاريع كبيرة ما أريده هو أن أقوم بعمل شيء بحياتي البخيسة هذه ... أريد أن أخدم غيري دون الشعور بالإهانة والانسحاق، دون التملُق ولحس الأحذية ... مع الأفلان كلُ شيء مسموح به حقًا ولكن هناك التجاهل لا يهمُ الأمر ولو أنَك قادر على أن تخرج الحوريات من قيثارتك ... ليس هناك أخطر من عدوً على الموهبة أكثر من اللاَمبالاة... بكلَ رضى سأترك لحيتي تطول حتى ولو تخبَلت بداخلها »(2)

فهذه الجملة الأخيرة تختصر ما سيحدث لاحقا ل " يحي " الذي تستدرجه الظروف المختلفة للإنضمام للجماعات المسلَحة منفَذا كلَ الأوامر التي تقدَم له لأنَ « الإرهابي

يخضع خضوعا تامَا للجماعة التي ينتمي إليها، أو للسُلطة التي ينتمي إليها، ويصبح لديه الإستعداد والإرادة لتنفيذ ما يتلقَاه من الأوامر بصورة تلقائية »(3) وسيحسُ يحي بالنَدم فيما بعد، وسيشتاق إلى آلته الموسيقية ويحنُ لها قائلا « إنَني مشتاق إلى

---

(1)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 75 .

(2)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 74 .

(3)–عبد الرحمان العيسوي : دوافع الجريمة ، منشورات الحلمي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، د–ت ، ص 252 .

مندوليني، وإنَي أفتقدها كثيرا ... وإنَني على استعداد لأن أدفع كلَ شيء لاسترجاع آلتي الموسيقية ... لو كنت أعلم أنَ الأمور ستسحبني وتجرجرني إلى هذا المصير لفضَلت وبكلَ سرور أن أبقى ذلك البائس الذي كنته من قبل ... »(1) ويموت " يحي " محكوما عليه بالإعدام من طرف الجماعات(2)لأنَه اشتاق لفنَه، ومارس بعض الألعاب البهلوانية خفية.

أ/2 –**شخصية سيد علي الشاعر :**

سيد علي شاعر القصبة، مواقفه ثابتة اتجاه ما كان يحصل في الوطن رغم سوء حالته الإجتماعية، فهو لم يتأثَر بالمشاريع الجديدة التي أتى بها الإسلاميُون، بل كان « مسرورا في فقره الرُوحاني، كان يقضي جلَ وقته مستلقيا على مهرجه المغطَى بناموسية راضعا غليونه من الأفيون وهو يربي قصائده ... بالنسبة لأهالي سيد عبد الرَحمان ... كان سيد علي أعظم شاعر بعد المتنبَي، كان الشُيوخ مزهوُون به، والشَباب كانوا يعشقونه، أعظم من أسطورة كانت قصائده دواء »(3)، وقد كان صديقا مقرَبا ل " نافا " كما أنَ " يحي " كان موسيقاره الذي يوقع قصائده على آلته الموسيقية.

كان سيد علي من بين المثقَفين والفنَانين المطلوبين للتَصفية من طرف الجماعات

المسلَحة، وقد كان موقفه معاديا لما أتوا به من تغيير ووعود تلك التي صدَقها " نافا وليد " وقد حاول " سيد علي " لفت نظر " نافا " لهذا حينما استدعاه لبيته، ودار بينهما الحديث التَالي « ما الذي ذهبت تبحث عنه في المسجد يا " نافا وليد "؟، السلام ...

---

(1)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 257 .

(2)–المصدر نفسه ، ص 261 .

(3)–المصدر نفسه ، ص 111 .

السلام ؟ كنت أجهل أنَ السلام في الفوضى، أشار بأصبعه إلى المدينة المثخنة بالحقد والكراهية، إنَها الحرب يطالب بها هناك في الأسفل ... انتبه يا نافا، كان سيد علي عرَافا ... احذر من أولئك الذين يحدَثونك عن أشياء أكثر أهمَية من حياتك، هؤلاء الناس يكذبون عليك، إنَهم يريدون استخدامك لأغراضهم الخاصَة »(1).

وقد كان حدسا من شاعر تنبَأ ما سيحصل ل " نافا "، وللجزائر بأكملها التي قال فيها « تلك الجزائر الجميلة بغاباتها نائمة في التاريخ المنهك ساعية الحفاظ على كلَ نبيل قادر على تخليصها من السُبات »(2)، كانت تلك نبوءة الشاعر التي تكهَنها للوطن والفنَ، وكان قدره أن يصفي هو الذي عاش فنَانًا ومات في سبيل الفنَ.

ب _الشخصيَات الثَانوية :

لا تخلو كلُ رواية من الشخصيات فهي التي تحرَك الأحداث وتسيَرها لأنَها تدور كلُها حول محور اجتماعي يتمركز حول هموم الجماعة وبالتَالي بالواقع العام للمجتمع، حيث أنَ الرواية التسعينيَة تمركزت مواضيعها حول هموم الجماعة وهذا لا يحيل إلى وحدة المعتقد الإيديولوجي الذي تفرَقت به السُبل في هذه الفترة، وإنَما لوحدة التَجربة العامَة للمجتمع المتمثَلة في تجريب العنف كتجربة جوهرية شاملة.«(3)

لذا فرواية " بم تحلم الذئاب " لا تخلو كغيرها من الروايات عن شخصيَات مركزية وشخصيَات ثانوية تساعد على تحريك الأحداث وقد ذكر لنا الكاتب في روايته مجموعة من الوظائف داخل السَرد ومنها:

---

(1)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا، بم تحلم الذئاب، ص 113–115

(2)– المصدر نفسه ، ص 75 .

(3)–فضل ثامر : اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت ، سنة 1994 ، ص 136 .

(دحمان، حميد، عائلة آل راجا، عمر زيري، نبيل، حنان، زاوش، نورة، حمزة أيوب، سفيان، فاروق، عبد الجليل، هارون، زبيدة، رشيد، الإسكافي، الإمام يونس ... إلخ)

وقد ساهمت هاته الشخصيات هي الأخرى في الإيديولوجيا داخل الرواية فهي أيضا تعتبر قنوات تواصل في النص الروائي وربط أحداث الرواية بسياقاتها الإجتماعية من خلال الأنساق الدَلالية التي صنعت الخطاب الروائي « فالكلمة هي الظاهرة الايديولوجية>>(1)

نأخذ مثال عن شخصية ثانوية وهي شخصية " **فاروق** "« كان فاروق لامعاً هو أيضا، من عائلة غنيَة ومحترمة، كان يتكلَم باللغة الفرنسية لكن تفكيره كان فيس »(2) وهنا لاحظ أنَ الأفكار التي جاءت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ تأثَر بها كل فئات المجتمع الجزائري، فهذا " فاروق " طالب جامعي، غنيَ، لكنَه تزعزع من أفكار إيديولوجية لهذه الحركة وهو كذلك لم يسلم من الإجرام في هذا المقطع يقول السارد « كانت أولى ضحاياه هو أستاذه دكتور في الرياضيات، أرمل دون أطفال يعيش في مسكن صغير وعتيق شرق الجزائر العاصمة، كان هذا الأخير مفتخرا باختصاصه إذ كان يستضيفه باستمرار في بيته فيتقاسما معا حساءه البسيط، كانا يقضيان الليالي

الكاملة، في تمجيد هذا العالم أو ذاك، وفي الحديث عن كتاب الرُوس وعظمة وجدَية الفكر الماركسي ... كان " الرُوجي" يتأسَف للتفكُك الذي أصاب الإمبراطورية السُوفياتية، ولم يكن ليخفي انزعاجه لمصير الشيوعيين الجزائريين الذين كانوا حلفاء

لهذا العالم المنهار، سعيدا كان الأرمل يهنئه على حالته الفكرية تلك ويطمئنه عن الوضع الجيَد والصحَي للشيوعيين في البلاد، ويعد بأن يفتح له كلَ أبواب الحزب .

---

(1)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 221 .

(2)–المصدر نفسه ، ص226.

الواسعة، هكذا استطاع " الرُوجي" أن يسجَل قائمة الأساتذة الملحدين، وعلى رأسهم محتضنه وأستاذه مسطَرا تحته بالأحمر والذي اغتاله مساء احتفاله بخمسينيَته حيث قدَم له في شكل هدية عيد الميلاد رصاصتين من مسدَس كبير الحجم »

فالكاتب هنا قام بعملية تشريحية لمجموع الشخصيات في الرواية ووضع كل شخصية داخل المؤسسة أو الإتجاه الإيديولوجي الذي تحمله، وكما نلاحظ الصراع الإيديولوجي في الرواية من خلال الأحداث التي نسبها لها والوقائع التي قامت بسردها كل شخصية، فه وقد اعتمد على الحوارية التي ميَزت الرواية على العموم بين هذه الشخصيات وكما نلاحظ أنَه لم يفسح المجال للقارئ باكتشاف القيم والأفكار السائدة في هذه الرواية بل ظهرت الإيديولوجية بشكل مباشر وهي متعدَدة من خلال الواقع السياسي الذي تعيشه الجزائر آنذاك.

إيديولوجية المكان في رواية " بم تحلم الذئاب" :

تمهيد :

إن للمكان أثره السلبي والإيجابي في نفسية الروائي، والمكان بشقَيه العام والخاص يحمل رؤى شاسعة بقدر رحابة المكان أو ضيقه لدى المؤلَف فالمكان هو بمثابة الوطن أي بمثابة الإنتماء، يستطيع أن يعبَر عنه الكاتب عن كل ما يدور في خلجات نفسه تجاه ذلك المكان من خوف أو استقرار أو فوضى عابثة أو ضياع أو أمان أو استنزاف طاقة هائلة من جعبته من أجل جعل ذلك المكان عميقا في نفس الكاتب، ومن ثمَ يصل هذا الإحساس للقارئ، ويبدأ التفاعل بينهما.

فالمكان إطار غير جامد، إنَه حين يحتوي الشخصية الروائية يتمثَلها، وتبعا لذلك يحدَد شكل حركتها ومضمونها فيه. كطلك الشأن بالنسبة للشخصية الروائية، فحين تتحرَك في المكان تتمثَله وتستبطنه.

فالشخصيات الموجودة في فضاء معيَن تعكس الأحداث والأفعال التي جرت في ذلك الزمن التي تخضع بدورها إلى رؤى وتصوير الراوي، تمارس الحكي عن الأفعال

والأحداث التي تأخذ مجراها زمن وقوعها كما يعاينها الراوي »(1)

2-المكان في الرواية :يعدُ المكان أحد الخصائص المشكَلة لرواية " بم تحلم الذئاب " باعتباره معبَرا عن الأبعاد الدلالية والفنيَة، ونظرا للأهمية التي يحتلها المكان في الرواية، فلم يكن من الصعب أن لا تمثَل هذه الرواية هذا الجانب « فالمكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه البشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل كلُ ما في الخبال من تحيُز، إنَنا ننجذب نحوه لأنَه يكشف الوجود في حدود تتَسم بالجمالية »(2)

ولهذا يعدُ المكان أحد الأقطاب الهامَة لأنَه يمثَل مركز الإخصاب الحدثي والعمل الأدبي لا يخلو من فضاء المكان فهو حيَز جغرافي حقيقي « إنَه سبب في وضع

المكان، أي أنَ الفضاء بحاجة على الدوام إلى المكان »(3)

والمكان مهمَ في المتن الأدبي فهو سبب في الفضاء والفضاء دائم التَعلُق به والحاجة إليه .

ومضمون الرواية " بم تحلم الذئاب " كان جزائري الإنتماء من حيث المكان والشخصيات الأساسية، فالكاتب لم يكتب هذه الرواية إلاَ غن الجزائر لأنَه عالج قضية

---

(1)-سعيد يقطين : الرواية والتراث السردي ، رؤية للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 2006 ، ص 113 .

(2)-غاستون باشلار : جماليات المكان ترجمة غالب هلس المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط6 ، بيروت ، 2006 ، ص 61 .

(3)-محمد بنيس : الشعر العربي الحديث، بنيابة وابدالاته، ج3 ، البحرين الثقافية ، سنة 2007 ، ص 14.

المحنة الجزائرية التي وقع في شباكها العديد من الضحايا وهم أبناء هذا الوطن في العشرية السوداء إثر التعدُدية الحزبية والإختلافات الإيديولوجية البورجوازية والدينية التي تزعَمتها الحركة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر.

« فالمكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرَك من خلاله الشخصيات فحسب، بل إنَه يتحوَل في بعض الأعمال المتميَزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها من حوادث وشخصيات »(1)حيث أن أحداث الرواية دارت حول عدَة أماكن، ولتلك الأماكن دلالة إيديولوجية فنجد الكاتب في بناءه السَردي ألفاظ توحي بها وكما تبرز لنا هاته الأماكن العلاقات الإجتماعية والسياسية المتفككة بين النظام والشعب والأزمة التي وصل إليها المجتمع الجزائري، يذكر في الرواية أماكن وفضاءات الإنتقال العمومية مثل : الشوارع، الأحياء الراقية، الأحياء الشعبية والمدن والمقاطع التالية فيها إلتماس لذلك « ... أن تكون سائق واحدة من العائلات الأكثر رقيًا في محافظة الجزائر الكبرى (2)»

فالجزائر هنا تمثل مكان عمل الشخصية لدى عائلة غنيَة هي العاصمة أين تمكث فيها العائلات الجزائرية سواء كانت من الطبقة البرجوازية أو البسيطة.

« كان دحمان صديقي الدائم، ولدنا في نفس المحسر، في مكان ما من منسيات القصبة ...»(3) القصبة هي الحيَ الشعبي، قديم وعريق تقطنه معظم العائلات البسيطة من المجتمع.

كما نلاحظ أن المجتمع الجزائري منقسم إلى طبقتين ممَا أدى إلى ظهور إيديولوجيات مختلفة ونلاحظ أن الكاتب جعل المكان مقدَمة لروايته وذلك في هذا المقطع

---

(1)–أحمد زياد محبك : مقدمة لدراسة المكان في العمل الروائي،البحرين الثقافية، د.ط، د.سنة 2007،ص14

(2)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 26 .

(3)–المصدر نفسه ، ص 35 .

« إنَها السادسة صباحا والنهار لا يشجَع كثيرا على المغامرة في الشوارع منذ أن تنكَرت الجزائر العاصمة لأوليائها تفضَل الشمس أن تبقى في عرض البحر منتظرة أن ينتهي الليل من حزم مشانقها »(1)

والكاتب هنا أراد أن يصوَر لنا أن كلَ الأحداث التي ستسرد في الرواية كلُها ستكون في بلاد الجزائر ليكشف للقارئ ما حدث في العشرية السوداء.

وتظهر الإيديولوجيا كذلك في هذا المقطع « أين جونيور؟ ضننت أنَه بحاجة إلى السيارة، لقد طار إلى باريس في الساعة التي تلت مكالمتك ... في أروبا لا يتكلَمون سوى عن هذا الأمر»(2) " أروبا " إنه المكان الذي يزوره الأثرياء وأصحاب النُفوذ والسلطة الذين يمثَلون الإيديولوجيا البورجوازية في البلاد. وكما صوَر لنا الكاتب " البيت" فهو أحد الأماكن المهمَة في الرواية، فمعظم الأحداث وقعت فيه، وله أهمَية كبيرة في القصَ الروائي، وفي هذا المقطع بذاته يتبيَن لنا أن البيت عنصر من عناصر البناء القصصي « ... أين تظنُ نفسك أيها الصغير،إذا كنَا جزءا من عائلة عظيمة ألمقام فمهما كان المكان الذي تشتغل فيه فواجبنا المحافظة على سمعتنا ...»(3)

الحديث الذي جرى بين حميد و وليد إثر تخلُصهم من جثَة العاهرة التي كانت مع جونيور في بيته وتوفَيت هناك إثر أخذها جرعة زائدة من المخدَرات فهذه الحادثة جرت في البيت الذي صوَر لنا الحياة التي يعيشها البرجوازيون أصحاب الثراء والنُفوذ . استخدم الكاتب بعداً إيديولوجيا في عدَة مقاطع من الرواية من هذه المقاطع أيضا « في اليوم الموالي وفي الطابق التحت أرضي للفيلة لأحد أمراء الحركة الإسلامية وكان ما يسمُونهم بالمجاهدين يتدرَبون على استعمال الأسلحة في الحرب التي شنُوها

---

(1)–المصدر نفسه ، ص 15 .

(2)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 55 .

(3)–المصدر نفسه،ص 55.

في أوساط الشعب الجزائري » وهذا المقطع كذلك « ... لقد تمَ اختراق القيادة ألوطنية لابد أن هناك مندسين في أعلى ألقيادة إنَه اجتماع سياسي ومحور سرَي جداً...»(1)

هذا الاجتماع أقيم في العمارة وكشف عليه الإرهاب أصحاب الحركة الإسلامية للإنقاذ وهنا السارد يوضَح الإيديولوجيَتين اللَتين يتضمَنهما هذا المقطع ولعلَ هذا كلُه يؤكَد ثانية أن المكان في الرواية « ليس مكانا معتاداً كالذي نعيش فيه أو نخترقه يوميا لكنَه يتشكَل كعنصر من بين العناصر المكوَنة للحدث الروائي وسواء أجاء في صورة

مشهد وصفي أو مجرَد إطار للأحداث فإن مهمَته الأساسية هي التَنظيم الدرامي للأحداث »(2)

أيضا وظَف الكاتب الإقامة الجامعية وهي تمثَل البيت الذي يقطنه الطُلاب وتظهر لنا في هذا المقطع إيديولوجية المكان « خلال الأسابيع الأولى سكن عند فاروق جلاَب الماء للمجموعة وذلك في غرفة جامعية جاهدا نفسه على النسيان فقد حرص نافا على أن يكوَن نفسه إيديولوجيا،كان يقرأ كتبا دينية ... »(3)

وينقلنا الكاتب إلى مكان آخر وهو أحد الأمكنة المهمَة في الرواية وهو " المسجد" مكان مقدَس تقام فيه الخطابة والصلاة وأصحاب المصالح أو الحركة الإسلامية للإنقاذ استغلَت هذا المكان لنشر أفكارها وإيديولوجيتها وزرعها في عقول الشباب الجزائري للانخراط في صفوف الحركة الإسلامية وهذه المقاطع تبيَن ذلك « انتشر المؤمنون في سكون وهدوء ولم يمكث سوى بعض المسافرين المفلسين في المسجد انتظارا لطلوع النهار ... اغتنم الإمام يونس فرصة تواجدي وحيدا ليجاذبني أطراف الحديث كان رجلا في الثلاثين من عمره، جميلا كأمير، بعينين مكحلتين ولحية مصبوغة بالحناء ،

---

(1)–المصدر نفسه، ياسمينة خضرا، بم تحلم الذئاب، ص 232.

(2)–بحراوي حسن ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، 1990 ، ص 30 .

(3)–المصدر نفسه ، بم تحلم الذئاب ، ص 221 .

ناس القصبة معجبون باستقامته ولطفه إنه في الاستماع دوماً إلى المحتاجين وإلى الشباب العاطل لقد نجح في كسب ثقتهم ... »(1) وهذا المقطع أيضا « ما الذي تبحث عنه في المسجد يا نافا وليد؟ السلام؟ »(2)

كلُ هذه الأماكن التي ذكرها الكاتب في الرواية هي أماكن عمومية استخدمها في العملية السردية وكما وظَف الأماكن الخصوصية مثل: المقهى والمطعم والنادي والبار التي تدور فيها الأحداث التي سردتها الأصوات الساردة ومنها جلَة هذه المقاطع « وبعد فترة تربُص في معهد الفندقة بتيزي وزو، اشتغل في عديد من المركَبات السياحية رابطا علاقات كثيرة في أوساط البورجوازية العاصمية »(3)

أيضا استعمل الكاتب " الجبل" فهو مركز الإرهاب في الجزائر في هذا المقطع « أصرَ نافا على أن يلتحق بالجبل »(4) فالجبل كان ملجأ المتطرَفين والإرهاب، فعندما بدأت الشرطة تحاصرهم في المدينة لم يجدوا سوى الجبل لنشر أفكارهم والقيام بالحرب التي حلَت في أوساط الشعب الجزائري، وهذه المقاطع إن دلَت على شيء فهي تدلُ على النزعة الدينية التي تمثَلها الإيديولوجيا الدينية، وكما وظَف الكاتب في الفصل الأخير من روايته مجموعة من القرى أين انتشرت فيها الإرهاب وقاموا بكلَ المحرَمات من سفك الدَماء وهتك عرض العائلات ، واغتصاب البنات كأنهم وحوش وذئاب تلهث أجسادهم للخراب والدَمار ومن هاته القرى: قرية سيدي موسى وقرية سيدي عيَاش، ممثَلا إيَاها في هذه المقاطع: « قرابة السنتين لقد نشطت في سيدي موسى،

---

(1)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 221 .

(2)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 100 .

(3)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 113 .

(4)–المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، ص 36 .

هناك منيت مجموعتي بهزيمة نكراء، انسحبت نحو منطقة شريعة »(1) ونلاحظ أن كل الأماكن التي تدور فيها الأحداث كلُها في بلد واحد وهي الجزائر ويدلُ ذلك على شموليَة الحالة التي تحدث عند الراوي " ياسمينة خضرا " ومن خلال ما تطرَقنا إليه، وهذا ما حدث في رواية " بم تحلم الذئاب؟ " فالكاتب جعل الجزائر في مقدَمة الرواية ليسرد لنا الأحداث المأساوية التي عاشتها الجزار خلال العشرية السوداء التي ذهب فيها الضحايا من العائلات الجزائرية وتصوير الواقع المرير الذي عاشه المجتمع الجزائري إثر اختلال التوازن في النَظام السياسي والإجتماعي وانتشار البيروقراطية ممَا أحدث انفجار في الحالة النَفسية الجزائرية فكان الشعب هو الطبق الرئيسي للنظام الجزائري.

3-الإيديولوجيا في الزمن :

يعتبر الزمن من القضايا التي شغلت بال النُقاد المعاصرين في عصر القرن العشرين، لارتباطه بالذات النفسية في أغلب الأحيان لأنه يشكَل مركز استقطاب في الرواية العربية عامة والرواية الجزائرية خاصة لأن الزمن مرتبط ارتباطا وثيقا بالتجربة

الإنسانية والذاتية وما يتركه من أثر على الإنسان. أمَا حضور تقنية الزمن في رواية " بم تحلم الذئاب "، فإننا نجدها اتَخذت حيَزاً واسعا كما اتخذت أشكالا متعدَدة عبَر بها

الكاتب عن حالته النفسية والشُعورية، وفي هذه الرواية انقسم الزمن إلى أجزاء بحسب الحالة التي كان عليها الكاتب آنذاك، فأحيانا يوظَف الزمن لسرد أحداث وقعت، وظروف مرَت، فالزمن معبَرا عن حالة، وموقف وشعور وأحيانا أخري يخاطب الزمن بأبعاده الثلاثة (الماضي، المضارع، الأمر).

---

(1)-المصدر نفسه ، ياسمينة خضرا ، بم تحلم الذئاب ، 257 .

وعلى هذا النحو تتبنى خصوصية العمل الروائي انطلاقا من أهمية الزمن كعنصر بنائي « فأهميَة هذا العنصر بالنسبة للرواية يأتي من كونه يمثّل روحها المتفتَحة وقلبها النابض، فبدون عنصر الزمن تفقد الأحداث حركيتها »(1) إذ يستحيل تجريد الأحداث الروائية من الزمن الذي يبقى لصيقا بها على طول المسار السردي للرواية، وكما أنه يساهم في « تصميم شخصيات العمل الأدبي وبناء هيكلها وتشكيل مادَتها وأحداثها»(2). التي تأسس حولها الحبكة التي تتبنى عليه تطوُرات الحدث الروائي.

وربَما كانت علاقة الزمن بالمكان أكثر العلاقات أهمية في تحليل الخطاب السردي، ذلك « لأن الزمن يعدُ من أبعاد المكان، ولا معنى له إلاَ بانخراطه في الظاهرة المكانية»(3) ولا يمكن الفصل بينهما ونجد أن هناك علاقة وطيدة بينهما في الرواية

مما يجعل بنا المستحيل فصل كلاهما عن الآخر ومن تلاحم المؤشرات الزمانية مع المؤشرات المكانية يشكلان لنا القيم البعدية الضاربة بدورها في أعماق الواقع الجزائري وتصوَره لنا رواية " بم تحلم الذئاب" من خلال فترة العشرية السوداء وما آل إليه الفساد والإجرام فوقف الكاتب عبر الزمن في الكثير من المحطَات التي تبيَن الصراع الإيديولوجي في فترة التسعينات التي عرف فيها المجتمع الجزائري خلافات وانحطاط على مستوى الأبعاد السياسية والإجتماعية والإقتصادية والنفسية .

---

(1)–عباس ابراهيم : تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية لدراسة في بنية الشكل (الطاهر وطار، عبد الله العروبي، محمد العروسي المطوي) الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، د_ط ،2002، ص98.

(2)–سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير) المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د_ط ، ص 10 .

(3)–فرحان اليحي : تجلَيات المكان في أقاصيص جولانية، دراسة نقدية بنيوية، الموقف الأدبي، ع 382،2003 ، ص 150 .

ويبدو أن الشخصيات في الرواية وقعت في قانون الزمن الصارم يجمع بينهم كأنهم شخص واحد وانعكست صورة في مرارة الحاضر الذي تعيش فيه الشخصيات من بيروقراطية والقيم الفاسدة التي ظهرت في مجتمعنا فهناك الطبقة البورجوازية النبيلة التي لا يعلم عنها شيئًا كيف ظهرت ومن أين نبعت ومتى وصلت إلى هذا الرُقي كيف علا شأنها وكان الزمن حفيلا بذلك في الرواية فكان منطلق الحكيم عبته مجرى الزمن الماضي في سردها في الحاضر الراهن، ذلك أن كلَما استعادت الشخصية الروائية وقائع وأحداث الزمن الماضي فكانت الشخصيات الأساسية تسرد الأحداث التي جرت في فترة التسعينات التي كانت فيها الجزائر تعيش صراعا إيديولوجيا بين الطبقة الحاكمة البورجوازية والطبقة الدينية التي كان يمثَّلها الحزب الإسلامي (الفيس) ونجد الرواية بدأت باستفهام على صيغة الماضي وهذا في المقطع التالي « لماذا لم يمسك جبريل رئيس الملائكة بذراعي عندما كنت أتأهَب لقطع حنجرة ذلك الرضيع المتقدم؟ مع أنه بكل قواي، ما كنت أعتقد أبدا بأن شفرة مديتي ستجرؤ على ملامسة هذا العنق النحيف الذي يتجاوز بالكاد معصم طفل صغير >>(1)

التي حملتها من خلال اعتناقها الإيديولوجية الدينية التي رفضت الواقع الذي كان سائداً آنذاك فهما صورتان حاضرتان في الزمن. ومن خلال الزمن في رواية "بم تحلم الذئاب" ارتسمت صورة الجزائر في العشرية السوداء من تقلُبات سياسية واجتماعية وثقافية ومن

خلال التَعدُدية الحزبية التي نتجت عنها الإيديولوجيا والرواية تسرد فترات المخاض السياسي أو التحوُل السياسي والتحوُل الإجتماعي من خلال ما تذكر الشخصيات

الأساسية منها "نافا وليد"،"علي الشاعر"و"يحي الموسيقي" وذكرهم من المحطَات الهامَة في حياتهم، اعتمادا على الذاكرة التي تبعث وقائع الماضي وتحقيقاته بناءاً على قانون الإستخصار المساهم في بناء عالم السَرد، ذلك أنَ جلَ هذه الشخصيات عايشت بعمق لحظات الماضي في الرواية.

---

(1)-ياسمينة خضرا ، رواية "بم تحلم الذئاب " ، ص 15 .

ولقد استطاع ياسمينة خضرا رصد القيم والإيديولوجيا في المجتمع الجزائري عبر الأحداث التي وقعت في الجزائر ففي هذا المقطع يعود بنا الزمن إلى مرحلة عاشتها

الجزائر وهي أحداث أكتوبر سنة 1988 حين تفاقمت المشاكل الإجتماعية والإقتصادية الذي حدث من خلاله الإنفجار الشعبي ووقع من خلاله بدل كبير داخل الحزب السياسي جبهة التحرير الوطني ويقول السارد في هذا المقطع « خلال أحداث اكتوبر 88 تعرض الملجأ على حريق مشبوه وبفضل مجهود المؤسسات الخيرية والإحسانية والبلدية تمَ التنازل عن الملجأ بدينار رمزي(مقابل لقمة خبز) إلى أحد المتسلَطين »(1) هنا زمن الماضي عاد بنا إلى أحداث حدثت في الماضي حين بدأت الأزمة الجزائرية تفوق من وعائها إلى الفساد وسوء الأوضاع الإقتصادية التي كانت تعيش فيها الجزائرفي نطاق دكتاتورية للغرب الواحد والزمن عندما أعادنا إلى هذه الأحداث أقرَ مبدأ التعدُدية السياسية والإعلامية والحزبية التي ولدت من خلالها مختلف الإيديولوجيات في المجتمع الجزائري التي نلمسها من هذه المقاطع التالية « بعد أكتوبر 88 كان عمر زيري منبهرا بالتفجُر والغليان الإسلامي، لقد تنبَأ للثورة من بعيد تلك

التي لا تسامح أبدا أولئك الذين لا يمتطون القطار عند ساعة الإنطلاق، الخطاب كان واضحاً والتهديد جلياً »(2) ويتبعه مباشرة هذا المقطع « وأيضا عندما اقترح عليه الإمام يونس بتحويل مطعمه الصغير إلى"مطعم الرَحمة" على طريقة الفيس(الجبهة الإسلامية للإنقاذ)»(3) وبعد التغييرات الجذرية التي بدأت من خلالها الأحزاب الجزائرية تتشكَل وبعد سنة 1990 فازت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ومع استقالة رئيس الدولة الجزائرية بدأت الفوضى أمام جلَ الأزمات التي حلَت على الجزائر فبدأ الصراع

---

(1) – المصدر نفسه ،ص 86.

(2)–المصدر نفسه ، ص 124 .

(3)– المصدر نفسه ، ص 124 .

يظهر في طبقات المجتمع الجزائري بين الديمقراطية والحزب الديني أن بدأت الكارثة تطلق على عاتق الشعب الجزائري آنذاك وتفاقم الصراع في الشوارع الجزائرية ممَا أدَى إلى ظهور الخراب والفساد والإجرام من خلال الصراع الدموي بين الإسلاميين والسلطة الجزائرية وخرجت الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتخاطب الشعب الجزائري للتَمسُك بالإيديولوجية الدينية فهي الوحيدة التي تخلَص الشعب الجزائري من الفساد وتحافظ على كرامته من خلال الدين الإسلامي ومبادئه والتَمثُل به وكما يواجهنا مقطع آخر كان خطابا من طرف الجبهة الإسلامية للإنقاذ « يقولون أيضا :" قبل 62 كان بلدنا خزانة جيوب لأوروبا، واليوم إنه خراب، قبل 62 كان الجزائري يفضَل أن تقطع يده على أن يمدَها للشحذ، اليوم يمدُ الإثنين"، كانوا يقولون :" لماذا أنتم هنا، في هذا الملجأ تعتمدون كليَة على إحسان بعض الطيَبين؟ لماذا يجب عليكم الإكتفاء بتناول الحساء الشعبي بينما يرمي مالكم من النوافذ، ويضع بترولكم أمام أنفكم وتداس كرامتكم ومستقبلكم »(1) كان خطابا ساخنا من طرف الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي كانت تغرس في أفكار المجتمع الجزائري الأوضاع التي آلت إليها الجزائر من طرف سوء الحكام الذين كانوا سببا لهلاك الدولة الجزائرية فكانت أفكار دينية تسرد الواقع الحقيقي للأوضاع السائدة التي جعلت الشعب يتأثَر بها ويلتحق بهم فئة من الناس الذين يأملون بالتغيير ويعيش الجزائري في عزَ كرامته.

الملاحظ من خلال مقاطع الرواية أن الماضي والحاضر غدا مخزنا للتجارب والوقائع التي عايشتها الشخصيات وتحاول إعادة بعثها وإحيائها من جديد ليمثل لنا مختلف للإيديولوجيات السائدة في الرواية والتي كانت أمام الصراع ويكون في هذا الأساس الماضي « منسوج في ذاكرة الشخصية ومخزون فيها تستدعيه اللحظة الحاضرة »(2)

---

(1)–نفس المرجع السابق ، ص 125 .

(2)–سيزا أحمد : الشخصية في الرواية الجزائرية (1970–1980)، ص 201 ، مقارنة سيميولوجية ، مرجعية النص الروائي الجزائري الحديث.

وهذا من خلال المقطع السالف من خلال خطاب الجماعات الإسلامية للإنقاذ فهنا الشخصية من خلال سردها للوقائع ،تتقدَم ثمَ تتراجع لتكشف للقارئ ماضي الشخصيات ومحطات الزَمن داخل المتن الروائي.

الخاتمـة

الخاتمة:

بعد عملية المسح لبعض الروايات الجزائرية التي عالجت موضوع الأزمة الأمنية فترة التسعينات أو مرحلة العشرية السوداء، تمَ التوصُل إلى الاستنتاجات التالية :

- الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية والتي مسَت طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعرجاً آخر عالج موضوع الأزمة وآثارها فاتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية مدار لها، منها تتولَد أسئلة متنها الحكائي وفي أحضانها تتشكل مختلف عناصر سردها.

- الإرهاب ليس حدثا بسيطاً في حياة المجتمع وقد لا يقاس بالمدَة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقترفها بل بفظاعتها ودرجة وحشيَتها.

- موضوع العنف المعروف إعلامياً بالإرهاب كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية، إلاَ أن هذا العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبع في السنوات الماضية، إذا لم تكن العشرية السوداء أزمة فقط بل كذلك كانت عشرية التحوُل نحو اقتصاد السوق وتسريح العمال وإلغاء انتخابات 1992 .

- واكبت الرواية الجزائرية هذه المرحلة الجديدة، مرحلة التكتُلات وبهذا ظهرت رواية المعارضة كبديل عن رواية السُلطة التي فقدت هيبتها بعد أحداث 08 أكتوبر 1988 وبذلك فسحت المجال لرواية المعارضة بعد توفُر مناخ الحريَة الذي أفرزه دخول الجزائر مرحلة اختيارات جديدة (سياسيا أو اقتصاديا)

قائمـة المصـادر والمراجــع

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

1-الطاهر وطار: الشمعة و الدهاليز، طبعة جديدة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004.

2-واسيني الأعرج: سيدة المقام، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1997.

3-ياسمينة خضرا: بما تحلم الذئاب، ترجمة أمين الزاوي، دار الغرب للنشر و التوزيع.

المراجع المترجمة:

1-بيير زيما: النقد الاجتماعي، نحو علم الاجتماع للنص الأدبي، ترجمة: عايدة لطفي، دار الفكر للنشر و التوزيع، ط1، القاهرة، 1991.

2-جيرار جنيت: حدود السرد، ترجمة بن عيسى بوصالة، مجلة آفاق المغرب، ع 8-9 ،1988.

3-جيل دولوز: الصورة- الزمن، ترجمة حسن عودة، وزارة الثقافة، دمشق، 1999.

4-غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلس، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط6، بيروت، 2006.

المجلات و الجرائد و الدوريات

1-إبراهيم سعدي: تسعينات الجزائر كنص سردي، الملتقى الدولي السابع للرواية، عبد الحميد بن هدوقة، دراسة الملتقى السادس، دار هومه للنشر، الجزائر.

2-أحمد زياد محبك: مقدمة في دراسة المكان في العمل الروائي، البحرين الثقافية، 2007.

3-بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990.

4-بشير بويحرة محمد:رمزية النص وفق التجربة، مجلة تجليات الحداثة، ع3 ،1994

5-بشير مفتي: الكتابة الروائية و الأزمة الجزائرية، جريدة الشروق، العدد 159، 2001/05/15.

6-بشير مفتي: الكتابة الروائية و الأزمة الجزائرية، جريدة الشروق، العدد159- 2001/05/15.

7-ملامح كيساء ميساء: كتابة العنف، عنف الكتابة في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، الملتقى الحادي عشر للرواية، عبد الحميد بن هذوقة، دراسات الملتقى العاشر، دار هزمه للنشر، الجزائر،

8-وذناني بوداود: الثابت الايديولوجي، أعمال الملتقى الخامس، جامعة سعيدة، الجزائر،دط -دس.

المراجع:

1-الشريف حبيلة: الرواية و العنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، أربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، دون طبعة، 2009.

2-حسام الخطيب: بناء الشخصية الروائية في رواية نجيب محفوظ، دار الحداثة للنشر و التوزيع، ط1، لبنان.

3-حميد لحميداني: دراسة في سوسيولوجيا الرواية "حول مفهوم الغولدماني و الحوارية البحتينية، مجلة الدراسات السيميائية، العدد الأول، المغرب، 1987.

4-سعد أبو الرضا: معالجة النص في كتب الموازنات التراثية(منهج و تطبيق منشأ المعارف الإسكندرية).

5-سعيد بن كراد: السيميائيات السردية-مدخل نظري-منشورات الزمن، الرباط، سنة 2001.

6-سعيد يقطين: الرواية و التراث السردي-رؤية للنشر و التوزيع ، ط1 ،2006 ، القاهرة.

7-سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1989.

8-عباس ابراهيم: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية «دراسة في بنية الشكل»، الطاهر وطار، عبد الله العروي، محمد لعروسي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار د.ط، 2002.

9-عبد الرحمان العيسوي: دوافع الجريمة، منشورات الحلمي، بيروت، لبنان، ط1، دت.

10-عبد الرحمان العيسوي:سيكولوجية التنشأة الاجتماعية، دار الفكر العربي بيروت، لبنان، دط، دت.

11-عمار بلحسن: الأدب و الإيديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون طبعة، الجزائر، 1984.

12-فضل ثامر:اللغة الثانية في إشكالية المنهج و النظرية و المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، - المركز الثقافي العربي، ط1-بيروت-1994.

13-لينة عوض: تجربة الطاهر وطار الروائية بين الايديولوجيا و جماليات الرواية، عمان، الأردن، 2008.

14-محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنياته و ابدالاته ،ج3، دون سنة.

15–مخلوف عامر: أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، المجلد28 ، العدد1 ،سبتمبر1988.

16–مخلوف عامر: أثر الإرهاب في الكتابة الروائية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، المجلد28، العدد1، سبتمبر 1988

17–نجيب العوفي: مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ، 1987.

18–واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–1986.

الفهرس

فهرس المحتويات

مقدمة.....01

مدخل..... 04

الفصل الأول: الإيديولوجيا في الرواية الجزائرية(الشمعة و الدهاليز، سيدة المقام)

تمهيد.....11

التعريف بالرواية (الشمعة و الدهاليز).....11

ملخص الرواية.....12

أنواع الصراع الإيديولوجي في رواية الشمعة و الدهاليز.....13

التركيبة العنوانية في رواية الشمعة و الدهاليز..... 15

التعريف برواية سيدة المقام.....16

ملخص الرواية..... 17

أنواع الصراع الإيديولوجي في رواية سيدة المقام.....18

التركيبة العنوانية في رواية سيدة المقام..... 21

الفصل الثاني: تطبيق الايديولوجيا في رواية بما تحلم الذئاب (ياسمينة خضرا)

ملخص الرواية.....24

الإيديولوجيا في الشخصية.....27

الإيديولوجيا في المكان.....39

الإيديولوجيا في الزمان.....45

خاتمة.....52

المصادر و المراجع.....54

فهرس المحتويات.....59